BP
50
.A4
c.1

BOBST LIBRARY
3 1142 02771 4453

NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

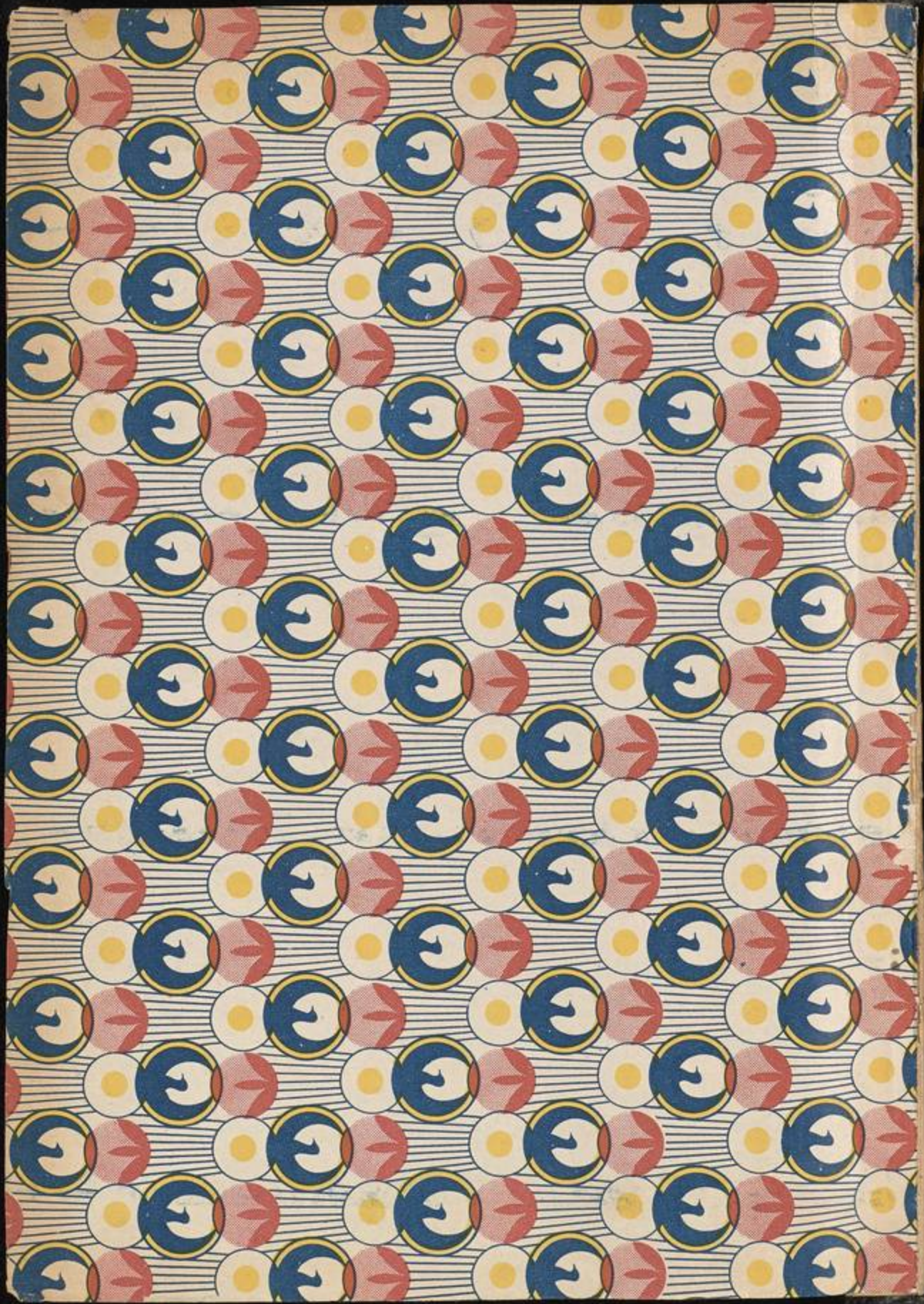

٢٨٤١
Āl Ibrāhīm, Habīb

المطالب المهمة

/al-Maṭālib al-mūhimaةh/

ما يتعلق بالقرآن والحديث والنبي (ص) والأئمة (ع)

كتبها

مؤلفها المهاجر العاملي

الشيخ حبيب آل ابراهيم

في جواب من سأله عن القول بنقصان القرآن واختلاف ترتيبه، وعن صحة التأويل فيه، وعن ما يجب العمل به من الحديث، وعن سيرة النبي (ص) في اهل بيته، وعن سبق علي في إيمانه وتقليده الوزارة، وعن معنى الشيعة، وعن الإمامة التي تقول بها الشيعة

حقوق الطبع والترجمة محفوظة

١٣٥٤ مطبعة العرفان * صيدا ١٩٣٦

صفحة

الفهرست

٥ مقدمة الكتاب

٧ ﴿المطلب الأول﴾ في القرآن

٧ سلامة القرآن من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان

٩ عدم ترتيب القرآن على حسب موارد النزول ، ويترتب عليه

١٣ عدم صحة الاحتجاج بالسياق ، بمعنى انه اذا وردت آية بين آيات فلا يصح القول بأن هذه الآية نزلت في المورد التي نزلت به الآيات التي قبلها او بعدها وعدم صحة الاحتجاج بالسورة على الآية بمعنى عدم صحة الاحتجاج على آية وردت في سورة مكية بأنها مكية

١٣ صحة التأويل في القرآن

١٤ معنى التأويل

١٥ سيرة علماء المسلمين في التأويل ، وفيه مباحث مهمة لا يفوتنك الاطلاع عليها بينت فيها مثلاً من عموم القرآن وخصوصه ، ومطلقه ومقيده ، ومجمله ومبينه ، ومحكمه ومتشابهه ، وناسخه ومنسوخه ونصوصه وظواهره فيها الشفاء من شبهة عدم صحة التأويل في القرآن ، وأن التأويل إلحاد وزندقة كما يقوله بعض الجاهلين

٢٣ ﴿المطلب الثاني﴾ في الحديث

٢٣ معنى الحديث

٢٤ تدوين الحديث

العمل بالحديث وتنويعه وبيان ما يجب العمل به من الحديث وما لا يجب

٣١ اختلاف القرآن والحديث

٣٣ اختلاف الحديث والعقل

٣٦ ﴿المطلب الثالث﴾ في محمد صلى الله عليه وآله وسلم

Near East
BP
50
.A4
c.1

صفحة الفهرست

٣٦ نشأته
٣٧ شيء من سيرته في اهل بيته واصحابه
٤٨ ﴿المطلب الرابع﴾ في سبق أمير المؤمنين علي ﴿ع﴾ للإيمان
٥١ علي والوزارة
٥٦ أركان الإسلام التي قامت بموازرة علي عليه السلام
٥٦ الركن الأول الهجرة الى المدينة
٥٨ الركن الثاني غزوة بدر
٥٩ الركن الثالث غزوة أحد
٦٠ الركن الرابع غزوة الخندق أو يوم الأحزاب
٦١ الركن الخامس يوم حنين
٦١ الركن السادس يوم خيبر
٦٢ الركن السابع قيامه بالمدينة يوم تبوك
٦٤ ﴿المطلب الخامس﴾ الشيعة
٦٦ التحقيق في مفهوم هذا اللفظ ومعناه
٦٧ أول من اشتهر بهذا الاسم
٦٩ ﴿المطلب السادس﴾ الإمامة ولزومها، ولقد فاتنا ذكر كثير من أدلتها ومنها قوله ﷺ (من كنت مولاه فعلي مولاه) اذ لم نكن بصدد الاستقصاء
٧١ آية المودة
٧٦ آية التطهير
٨٠ آية المباهلة

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	١٥	وإذ	وإذا
٩	١٩	بدانيه	بدانه
٢٢	١٧	آمن	أمن
٢٣	٧	على	عن
٢٣	١٢	فأن	فأنه
		وتدوينه أواعتذر	وتدوينه ، واعتَذر أو اعتُذر
٣٠	١٢	السنة	السند
٣٢	١٦	بوجوهكم	وجوهكم
٤١	١٧	المسود	المسور
٤١	٢١	الانبياء	النبأ
٤٢	١٧	قصده كما اعلن	قصده إعلان فضلهم كما اعلن
٤٤	١٧	ابو سعيد	ابو سعيد
٥٣	٢١	عبادين	عباد بن
٥٩	٨	وانك	أو انك
٦١	١	تجادلا	تجاولا
٦٢	١٦	كلها ، اوقد	كلها ، كلما اوقد
٧٠	١٨	وقرآن	وقرناء
٧٢	١٦	لبيان	لبيانه
٧٦	١٤	نجوعاً	بخوعاً
٧٩	١	بن عباس	بن مسعود
٨٤	١٢	كذبوك	يكذبوك
٨٤	١٣	للذين كفروا	للكافرين

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين وبعد فقد جاءت مجلة (العروبة) تحمل لقرائها في عددها الرابع من سنتها الثانية تحت عنوان (قبضة من جوامع الكلم لإسعاف النشاشيبي) كلمات لم يقرأها قارؤها حتى حملها إلي لأراها، وما ان انتشرت وبلغت اسماع المسلمين حتى رأيت الاضطراب والقلق قد اخذ من العموم مأخذه

وإني لأعجب ويعجب كل مسلم لإصدار هذه الكلمات المملوءة افتراء على الله ورسوله ﷺ وتعديا على المسلمين في عصر توفرت فيه اسباب الوصول إلى الحقائق وتنورت افكار اهله بما أمدتهم به أدوات النشر والتأليف من علم وعرفان

هذا مضافا لما اتضح لعقلاء الناس ونبلائهم حاجتهم للالتفاف والاتفاق، وانحصار نجحهم في عموم مشكلاتهم ومعضلاتهم بالاجتماع والتعاضد

فنحن بينما كنا نتوقع من قادة الإصلاح، ورواد الحق، ودعاة الإلفة، ومحيي جمع الكلمة ولمّ الفرقة من علماء المسلمين وأدبائهم البيانات الشافية في الدعوة والإخاء، والمقالات الضافية في نبذ التنازع والاختلاف والاختلاق، وإذ بالنشاشيبي ومن على شاكلته يتقدمون إلى عكس ذلك، يريدون ان يعيدوها جذعة، يريدون أن يثيروها بين المسلمين حربا عوانا، رجوعا على الأعقاب، إلى الحقد القاتل، والعداوة

المميتة ، إلى ما كانوا عليه قبل الإسلام وفي بعض عصوره من تضارب الأهواء ، واختلاف الآراء ، وتبدد الكلمة ، وتفرق الأيدي ، إلى الذل والصغار الى الاستعباد والاستعمار

ومايدريك ولعل النشاشيبي وامثاله (ومااصبح اكثرهم اليوم) يد من ايدي المستعمرين ، واصبع من أصابعهم العابثة في نفسيات المسلمين وعقائدهم

يريدون بذلك استغلال ثمرات اختلافهم ، واستيفاء حاصلات تفرقهم

ثم اعقب ذلك توجه اسئلة إلي عن القول بنقصان القرآن واختلاف ترتيبه ، وعن صحة التأويل فيه ، وعن ما يجب العمل به من الحديث ، وعن سيرة محمد ﷺ في اهل بيته واصحابه ، وعن علي (ع) وسبقه في الإيمان ووزارته التي قلده إياها رسول الله ﷺ ، وعن معنى الشيعة ، وعن الإمامة التي تقول بها الشيعة :

فقلت

بسم الله الرحمن الرحيم

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

بسم الله الرحمن الرحيم لقد علقت على بعض المطالب حلا لرموزها وايضاحا لمشكلها ووضعته في اسفلها

حبيب آل ابراهيم
المهاجر العاملي

المطلب الأول

القرآن ، ترتيبه ، تأويله

﴿ القرآن ﴾

أنزل على محمد ﷺ نجوما في نوب متفرقة ، بحسب الطوارئ ، من أول بعثه إلى ما يقرب من وفاته ، وهو المجموع ما بين الدفتين ، من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تغيير (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر آية ٩

وان هذا الرأي هو الذي عليه المحققون من اصحابنا أعلى الله مقامهم

قال الصدوق (١) رحمه الله تعالى في عقائده (كما في صفحة ٩٨ من كتاب « بحر الفوائد ») اعتقادنا ان القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ هو ما بين الدفتين ليس اكثر من ذلك ، ومن نسب الينا القول بأنه اكثر من ذلك فهو كاذب (انتهى)

وقال شيخ الطائفة(٢) رضي الله تعالى عنه في محكي تبيانه (كما في صفحة ٩٩ من البحر) اما الكلام في زيادته ونقصانه « يعني القرآن) فمما لا يليق به لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانه ، والنقصان منه فالظاهر ايضا من مذهب المسلمين خلافه ، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا ، كما نصره المرتضى قدس سره ، وهو الظاهر من الروايات ، غير انه رويت روايات كثيرة من جهة السنة والشيعة بنقصان كثير من

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق أمره في العلم والعدالة أوضح من أن يعرف وله مؤلفات كثيرة مات (ره) بالري سنة ٣٨١ عن النجاشي

(٢) هو محمد بن الحسن بن علي الطوسي رئيس الطائفة وشيخها في عصره (ولد في شهر رمضان سنة ٣٨٥ وتوفي ليلة الاثنين ٢٢ المحرم سنة ٤٦٠ بالمشهد الغروي . عن الروضات

آي القرآن ، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع ، لكن طريقها الآحاد الذي لا يوجب علما ، فالأولى الإعراض عنها ، وترك التشاغل بها لأنه يمكن تأويلها ، ولو صحت لما كان ذلك طعنا على ما هو موجود بين الدفتين فإن ذلك معلوم صحته لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه ، ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته والتمسك بما فيه ورد ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع اليه وعرضها عليه ، فما وافقه عمل عليه ، وما يخالفه يجتنب ولم يلتفت اليه ، وقد ورد عن النبي ﷺ رواية لا يدفعها احد ، انه قال « إني مخلف فيكم الثقلين ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » وهذا يدل على انه موجود في كل عصر ، لأنه لا يجوز أن يأمر الأمة بالتمسك بما لا يقدر على التمسك به ، كما ان أهل البيت ومن يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت ، وإذا كان الموجود بيننا مجمعا على صحته فينبغي أن يتشاغل بتفسيره ، وبيان معانيه ، وترك ما سواه (انتهى)

وقال الشيخ المفيد(١) كما في صفحة ٩٩ من البحر ايضا « وقال جماعة من أهل الإمامة إنه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة ، لكن حذف ما كان مثبتا في صحف امير المؤمنين عليه السلام من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله ، وذلك كان ثابتا منزلا وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز ، وقد يسمى تأويل القرآن قرآنا ، قال الله تعالى « ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما » فسمى تأويل القرآن قرآنا ، وهذا ما ليس فيه بين أهل التفسير خلاف » انتهى

وقال الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي في مقدمة تفسيره الكبير « مجمع

---

(١) هو محمد بن محمد بن النعمان رئيس الطائفة الشيعية في عصره وهو استاذ المرتضى والرضي رحمهم الله صاحب المؤلفات الكثيرة المولود حادي عشر ذي القعدة سنة ٣٣٦ المتوفى ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة ٤١٣

البيان » (ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه فإنه لا يليق بالتفسير ، فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه ، واما النقصان منه فقد روى جماعة من اصحابنا وقوم من حشوية السنة ان في القرآن تغييرا ونقصانا والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه(١) واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات انتهى

وقال العلامة الاشتياني(٢) في كتابه « بحر الفوائد » صفحة ٩٩ « والمشهور بين المجتهدين والأصوليين بل اكثر المحدثين عدم وقوع التغيير (يعني في القرآن) مطلقا ، بل ادعى غير واحد الإجماع على ذلك ، لاسيما بالنسبة إلى الزيادة

فظهر لك من هذه الجملة ما عليه اعلام الشيعة ومحققوهم — وسائر الناس منهم بعد تبع لهم — من ان القرآن لم يقع فيه تغيير ولا تبديل ، ولا زيادة ولا نقصان ، اما

ترتيبه

فإنه لا ريب عندنا بل وعند المسلمين جميعا ان القرآن الذي بأيدينا لم يقصد جامعه تأليفه وترتيبه على حسب موارد النزول ، سواء كان جامعه زيد بن ثابت على عهد ابي بكر كما قيل ، أو كان غيره على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما تشعر به بعض الروايات فالقرآن غير مرتب على حسب موارد نزوله ، لا في آياته ولا في سوره ، فترى الآية التي أنزلت في مكة في سورة مدنية ، والآية أنزلت في المدينة في سورة مكية ، وترى آية نزلت في قضية سابقة متأخرة في الوضع والترتيب عن آية نزلت في قضية لاحقة .

---

(١) السيد المرتضى رئيس علماء الشيعة في عصره هو علي بن الحسين بن موسى يتصل بالإمام موسى بن جعفر(ع) حاز من العلوم ما لم يدانيه أحد ، وله المؤلفات الحسنة ، مات رضي الله عنه لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٣٦ عن النجاشي

(٢) هو الميرزا محمد حسن المعروف بالاشتياني من أعاظم علماء عصرنا الحاضر

وترى سورة مكية متأخرة في الوضع عن سورة مدنية وسورة مدنية متقدمة في الترتيب على سورة مكية وهكذا

واليك مايلمسك ذلك، قال الله تعالى في سورة البقرة المدنية آية ٢١٦ «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير» الآية نزلت بلا ريب في سرية بعثها رسول الله ﷺ وأمر عليهم عبد الله بن جحش فقتلوا رجلا من المشركين في أول رجب وهو من الأشهر الحرم فأقبل المشركون يسألون النبي ﷺ عن القتال في الأشهر الحرم فنزلت، وذلك قبل وقعة بدر وفي اوائل الهجرة، وقص الله تعالى على نبيه ﷺ من فروض الحج واحكامه ما هو معلوم تأخر نزوله عن وقعة بدر، بل عن وقعة الحديبية التي هي في السنة السادسة من الهجرة ووضع ذلك في سورة البقرة نفسها آية ١٩٥ إلى ٢٠٣ فالآية الأولى متقدمة في النزول أخرت في الوضع والترتيب والآيات الأخرى متأخرة في النزول قدمت في الوضع والترتيب. ومثلها في ذلك قوله تعالى «يسئلونك عن الخمر والميسر» الآية. قال البيضاوي نزلت بمكة مع انها مذكورة في سورة البقرة آية ٢١٨ وسورة البقرة مدنية كما عرفت

قال الحسن والجبائي والمبرد (كما في مجمع البيان) إن قوله تعالى «وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى» الآية متصلة بقوله تعالى «ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن» الآية مع ان الأولى هي الآية الثالثة من سورة النساء والأخرى هي آية ١٢٦ منها وعليه فإن نظمها هكذا

ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن، وترغبون أن تنكحوهن، وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع» الآية وهو الموافق لما عن عائشة في تفسير الآية فراجع(١)

(١) راجع ما أخرجه البخاري في كتاب التفسير من صحيحه عند ذكر الآية من سورة النساء

وذكر المفسرون في فواتح السور في مقام التنبيه على مكيها ومدنيها وان بعض السور المكية فيها آيات مدنية وبالعكس ما يزيدك فيما قلناه وقررناه تصديقا وإيمانا ، واليك ما قاله الإمام البيضاوي في تفسيره ، قال في سورة الأنعام انها مكية غير ست آيات أو ثلاث آيات ، وقال في سورة الرعد انها مدنية ، وقيل مكية إلا قوله «ويقول الذين كفروا» الآية ، وقال في تفسير سورة النحل انها مكية ، غير ثلاث آيات في آخرها ، وهي قوله « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » الخ نزلت بشأن حمزة ، وذلك انه ﷺ لما رأى حمزة وقد مثل به في وقعة أحد ، قال (والله لئن اظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك) فنزلت فكفر عن يمينه

وقال في تفسير سورة الاسرا انها مكية ، وقيل إلا قوله «وإن كادوا ليفتنونك» الى آخر ثمان آيات .

وقال في تفسير سورة الكهف إنها مكية ، وقيل الا قوله « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم » الآية

وقال في تفسير سورة مريم انها مكية ، الا آية السجدة . وقال في سورة الحج أنها مكية الا ست آيات من قوله تعالى « هذان خصمان » الى صراط الحميد

اقول اخرج البخاري في كتاب المغازي في باب قتل ابي جهل من صحيحه بعدة طرق أنها نزلت في المتبارزين يوم بدر ، علي وحمزة وعبيدة او ابو عبيدة ، وشيبة ابن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، وان عليا عليه السلام اول من يجثو بين يدي الرحمن يوم القيامة للخصومة ، واليك الآيات بأجمعها :

« هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم ، يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق . ان الله يدخل

الذين آمنو وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير ، وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد»

ولنعد الى ما كنا فيه ، قال البيضاوي في تفسير سورة الشعراء انها مكية إلا قوله تعالى «والشعراء يتبعهم الغاوون»

وقال في سورة القصص أنها مكية الا قوله «الذين آتيناهم الكتاب الى قوله «الجاهلين» . وقال في سورة الروم انها مكية إلا قوله «فسبحان الله» الآية

وقال في سورة لقمان أنها مكية ، وقيل الآية وهي «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة» فإن وجوبها في المدينة (قال) وهو ضعيف لأنه لا ينافي شرعيتها (وأقول) بل قوي لأنه اخبار عمن يفعل ذلك والزكاة شرعت بالمدينة فتدبر

وقال في سورة الزمر انها مكية الا قوله «قل يا عبادي» الآية

وقال في سورة الزخرف انها مكية الا قوله «واسئل من أرسلنا» الآية

وقال في سوزة الدخان انها مكية إلا قوله «انا كاشفوا العذاب» الآية . وقال في سورة محمد ﷺ وتسمى سورة القتال انها مدنية وفيها مكية ، وقال في سورة الرحمن انها مكية او مدنية أو متبعضة ، وقال في سورة المجادلة انها مدنية وقيل العشر الاول مكي والباقي مدني

وقال في سورة التغابن انها مدنية أو مكية الا قوله تعالى «يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم» الآية

لقد طال بنا الكلام وكدنا ان نخرج عن وضعنا في الكتاب ، والغرض من ذلك البيان ، الشافي الذي لا يبقى معه شيء من الريب بأن جامع القرآن ومؤلفه لم يلاحظ في ترتيب الآيات وتأليفها موارد نزولها ، بل ولا في ترتيب السور وجمعها ، فإنه ربما يضع آية بإزاء آية أو آيات بينهما ما شاء الله في النزول ، وكذلك في السور ،

فإنه كما ترى يقدم السورة المدنية على المكية تارة والمكية على المدنية تارة أخرى ، ويضع آية نزلت في مكة ضمن سورة نزلت في المدينة ، وبالعكس ، وهذا المعنى من الاختلاف في الترتيب لا يضر بالاستدلال ولا يمنع من الاحتجاج بالقرآن بلا ريب وإن القرآن هو أحد الأدلة الاربعة التي يرجع اليها في استنباط الأحكام الشرعية وهذه كتبنا في الأصول والفقه مملوءة من حجج القرآن وأدلته

نعم ثبت من هذا الذي قدمناه من بيان الاختلاف في الترتيب أمران

﴿ الأول ﴾ عدم صحة الاحتجاج بالسياق بمعنى أنه إذا وردت آية بين آيات فلا يمكن القول بأن هذه الآية نزلت في المورد الذي نزلت به الآيات التي قبلها وبعدها لأن هذا لا يصح إلا مع العلم بترتيب القرآن على حسب موارد النزول وقد عرفت عدمه فلا يصح الاحتجاج بأن آية التطهير نزلت في نساء النبي ﷺ لأنها في ضمن الآيات الواردة في النساء وسيأتي لهذا مزيد توضيح عند الكلام على آية التطهير فلا تعجل

﴿ الثاني ﴾ عدم صحة الاحتجاج بالسورة على الآية ومعنى ذلك انه لو وردت آية احتملنا انها مدنية في سورة مكية فلا يصح الاحتجاج على انها مكية بأنها وردت في سورة مكية لأن هذا الاستدلال والاحتجاج إنما يصح مع العلم بترتيب السور على موارد النزول وقد عرفت عدمه فإذن لا يصح الاستدلال على ان آية المودة نزلت بمكة لورودها في سورة مكية وسيأتي لهذا ايضا مزيد توضيح عند الكلام على آية المودة في هذا الكتاب فانتظر

﴿ التأويل في القرآن ﴾

﴿ القرآن عربي ﴾

أنزل على محمد ﷺ بلغة قومه ولا ريب ان في الكلام العربي المتداول بين

أهله والمستعمل في محاوراتهم ومحاضراتهم ومقالاتهم ومعاملاتهم العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين فإذن القرآن كذلك فيه العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والفرض والنفل إلى غير ذلك من أحوال الكلام العربي وخصائصه لأنه كلام عربي ولأنه يحتوي على أحكام وقوانين

ثم انه لا ريب بأنه يجوز في اللسان العربي اطلاق اللفظ العام وإرادة الخاص . والمطلق وارادة المقيد ويصح الكلام باللفظ المجمل كما يصح بالمبين والمحكم والمتشابه عند وجود الدواعي اليها ويجوز في الحكمة الأمر بشيء عند وجود المصلحة الفعلية فيه ثم نسخه بمثله أو ما هو خير منه عند عدمها وان الأوامر في اللغة العربية على قسمين : منها ما يرخص بتركه فهو النفل أو لا يرخص فهو الفرض كل ذلك جائز في الكلام العربي وهو واقع في القرآن بلا ريب وربما اختفى المقصود وجهل المراد عند هذه الاطلاقات فهل يجب تفسير ما وقع من ذلك في القرآن وتأويله حتى يعلم مراد الله تعالى منه أم لا على رغم ما أمر الله تعالى من التدبر في القرآن والحث على الاستنباط منه وهل ترك الله الناس يقولون في كتابه ما يشاءون ويتأولون على ما يختارون ويهوون أو أنه تعالى بلطفه نصب للقرآن قيما يرجعون اليه في مقام الاختلاف ويهتدون بقوله عند خوف الضلال

لا أراك إلا قائلا معي لا بد من التدبر في كتاب الله والتفسير والتأويل ضروري وان الله لا يترك خلقه آخرا كما لم يتركهم أولا إذن نخذ مني كلمة في معنى التأويل وسيرة أعلام المسلمين فيه

معنى التأويل

هو ارجاع الكلام إلى ما يؤول اليه أو كما قال أهل اللغة (التأويل ارجاع الكلام وصرفه عن معناه الظاهري إلى معنى أخفى منه) يريدون من ذلك انه ربما

يكون للكلام معنى هو ظاهر ولكن المتكلم به يريد معنى آخر هو أخفى من ذلك المعنى فالتأويل هو ارجاع الكلام وصرفه عن معناه الذي هو ظاهر إلى ذلك الأخفى الذي هو مراد

سيرة علماء المسلمين في التأويل

قال الله تعالى شأنه « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » هذا الكلام عام لأنه حكم فيه على كل من رمى محصنة وقذفها بالزنا بوجوب جلده وعدم قبول شهادته وانه فاسق ثم عقب ذلك بلا فصل فقال (إلا الذين تابوا) وهذا خاص قصر الحكم الأول على من لم يتب وهل هو استثناء من الأخير فقط أو منه ومن الذي يليه خلاف بين أهل العلم كل يذهب في تأويل الآية إلى وجه الإمام الشافعي يذهب إلى القول الثاني فعنده أن التائب بعد القذف مقبول الشهادة وفسقه ارتفع بالتوبة أي أنه ليس بفاسق والإمام ابو حنيفة ذهب إلى الوجه الأول فعنده ان القاذف بعد التوبة لا تقبل شهادته وإن ارتفع فسقه بها وزال عنه بسببها

فترى ان كلا منهما أول الآية وصرفها عن ظاهر العام إلى خصوص الخاص

وقال الله تعالى في كفارة الظهار من سورة المجادلة آية ٣

« والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة » وقال سبحانه في كفارة قتل الخطأ من سورة النساء آية ٩١ « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً ومن قتل مؤمنا خطأً فتحرير رقبة مؤمنة » فتأول هنا مالك والشافعي وذهبا الى أن المقصود من الرقبة في كفارة الظهار هو المقصود من الرقبة في كفارة قتل الخطأ وذلك انه قيد الرقبة بالإيمان في كفارة القتل وأطلقها في كفارة الظهار فيجب صرف

المطلق إلى المقيد[1] فهو تأويل صريح وعندهما لا يجزي في كفارة الظهار غير المؤمنة وعند أبي حنيفة يجزي

وقال الله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » من سورة البقرة آية ٢٢٨ والقُرُوءُ من الألفاظ المشتركة في اللغة العربية يستعمل في الحيض تارة وفي الطهر — وهو النقاء ما بين الدمين — تارة أخرى فهو مجمل لذلك اختلف العلماء في تأويل الآية فمنهم من تأول القرء على معنى الطُّهر فذهب إلى أنه يجوز للمرأة إذا دخلت في الحيضة الثالثة بعد طلاقها أن تتزوج وليس لزوجها عليها رجعة وهو قول مالك والشافعي وجمهور أهل المدينة ومن الصحابة ابن عمر وزيد بن ثابت وعائشة وإلى ذلك تذهب الشيعة تبعاً لأئمتهم أهل البيت عليهم السلام وماروي من أن عليا عليه السلام يفسر القروء هنا بالحيض فليس بصحيح وشيعته أعرف برأيه ومنهم من تأول القروء على معنى الحيض فذهب إلى أن المرأة لا تنقضي عدتها ولا تحل للأزواج حتى تنقضي الحيضة الثالثة ، وهو قول ابي حنيفة والثوري ، والأوزاعي ، وابن ابي ليلى ، ومن الصحابة قول عمر بن الخطاب ، وابي موسى الأشعري ، وابن مسعود ، على ما في صفحة ٥٤ من المجلد الثاني من البداية ، فترى كلا من الفريقين تأول الآية على معنى

وقال الله تعالى في سورة البقرة آية ٢٣٧ « وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح » والمقصود من ذلك ان الرجل إذا طلق امرأته ولم يكن دخل بها فلها نصف ما فرض من المهر إلا أن تعفو المرأة عن ذلك النصف فلا يبقى لها على الزوج شيء ، ومعنى العفو هنا الاسقاط ، وهذا كله لا خلاف فيه ، إنما الخلاف في قوله تعالى بعده « أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح » وسبب الخلاف انهم لم يفهموا المقصود من مرجع الضمير

---

(١) ذكر ذلك ابن رشد في صفحة ٦٧ من المجلد الثاني من كتابه بداية المجتهد فراجع

في قوله بيده هل هو الزوج أو الولي ، واللفظ يحتمل كلا المعنيين على السواء ، فهو مجمل فأخذ كل يؤوّل الآية على ما يرى ، فذهب مالك إلى ان المقصود به الولي وأن يعفو بمعنى يسقط ، فعلى رأيه يجوز للرجل أن يسقط نصف مهر ابنته البكر إذا طلقها زوجها قبل الدخول ، كما يجوز للسيد أن يسقط نصف مهر امته كذلك ، فيكون معنى الآية على رأي مالك ان المرأة البكر اذا طلقت قبل الدخول فلها نصف المهر ، إلا أن تعفو هي عن ذلك النصف أو يعفو وليها عنه

وذهب ابو حنيفة والشافعي إلى ان المقصود من مرجع الضمير هو الزوج وأن يعفو بمعنى يهب ، فيكون المعنى على هذا أن البكر إذا طلقت قبل الدخول فلها نصف المهر الا أن تعفو هي عن ذلك النصف فلا يبقى لها شيء من المهر أو أن يهبها الزوج النصف الآخر فلها المهر كله ، وهذا كما ترى تأويل من الجانبين[1]

ولما انتهيت إلى هذا المكان من تدريسي لهذه المسائل في جامع بعلبك سألني جماعة عن مذهب الشيعة في هذه المسألة وذلك لأني ما كنت متصديا لبيان ما عليه الشيعة في ذلك إنما كان الغرض أن أثبت ما عليه علماء المسلمين غير الشيعة من لزوم التأويل لذلك قلت ان رأي الشيعة في ذلك — تبعا لأئمتهم أهل البيت عليهم السلام — هو أن المقصود من مرجع الضمير هو الولي الذي هو الأب في الصغيرة الغير البالغة والمالك بالنسبة للأمة مطلقا ويعضد ذلك بل يدل عليه ايضا ان الخطاب مع الأزواج فلو كان المقصود من الآية هم لقال (إلا أن يعفون او تعفو) وايضا نسلم بهذا الوجه من التصرف بلفظ يعفو فيكون بمعنى يسقط بكلا لفظيه ، وملخص معنى الآية على هذا ان الإمرأة البكر اذا طلقت ، ولم يدخل بها ، فلها نصف المهر ، إلا أن تعفو هي عن ذلك النصف إذا كانت حرة بالغة ، او يعفو ابوها إذا كانت صغيرة بحسب

---

(١) تجد ذلك في صفحة ١٦ من المجلد الثاني من بداية المجتهد لابن رشد

ما يرى من المصلحة لها ، او سيدها إذا كانت أمة ، هذا رأي الشيعة في ذلك ، ولنعد إلى ما كنا فيه من بيان سيرة علماء المسلمين في تأويل القرآن ، وبيان جمل من انواعه التي منها التأويل في المنسوخ عند نزول الناسخ

قال الله تعالى شأنه « واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ، واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما » تفهمك هذه الآيات ان الواجب في حد الزانية الحبس ، وان الواجب في حد الزاني الإيذاء ، وهذا كان في أول الدعوة للإسلام ، وذلك ان الجاهلية قبل الإسلام كانوا على ذلك ، فأراد الله تعالى أن يلطف بالمسلمين ولا يحملهم — وهم بعد حديثو عهد في الإسلام — عناء الانتقال مما كانوا عليه إلى ما لم يألفوه ، فلما استحكم الاسلام في قلوبهم أنزل الله سبحانه « والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم مؤمنين » فالمسلمون جميعا لا يرون تناقضا بين الآيتين وإن كان ظاهر كل واحد منهما ان هذا الحكم ثابت إلى الأبد فتأولوا في الآية الأولى وصرفوها عن ظاهرها وقصروا الحكم الثابت بها على وقت خاص وإلى أمد محدود وهو تأويل بين

لقد اتضح الحق واسفر الصبح لذي عينين ، ولعلك تقول قد عرفنا أن التأويل في القرآن حق فهل لك الى أن تعلمنا ما لا تأويل فيه من كتاب الله فنقول

﴿ عودة إلى بيان جملة أخرى من انواع القرآن ﴾

لقد تبين مما قدمناه اشتمال القرآن على العام والخاص والمطلق والمقيد الخ وضربنا لكل نوع مثالا يخصه ، وتبين ايضا ان التأويل حقيقة مشى عليها المسلمون ، وانه لابد منه في فهم المقصود والمراد من كلام الله تعالى

والآن نعود فنقول ان من القرآن النص (وربما عبر عنه بالمحكم كما عن الجبائي ومحمد بن جعفر بن الزبير في تفسير المحكم بأنه ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا) ومنه الظاهر (وربما أريد بالمحكم ما يشمل النص والظاهر جميعا كما عن مجاهد في تفسير المحكم بأنه ما لم تشتبه معانيه) ومنه المتشابه وذلك ان الكلام اما ان يكون له معنى واحد لا يحتمل من اللفظ المأتي به للدلالة عليه غيره وهو النص وإما ان يكون له معان متعددة وحينئذ فإما أن يكون لبعضها ظهور عن بعض مع احتمال إرادة البعض الآخر فذلك اللفظ هو الظاهر ومع عدم الاحتمال فهو قسم آخر من اقسام النص وإما ان لا يكون لبعضها ظهور عن بعض أصلا فذلك اللفظ هو المجمل إذا كان في اللفظ دلالة على كل واحد منها وإلا فهو المتشابه

إذا عرفت ذلك فنقول النص غير محتاج إلى التأويل لوضوح دلالته على معناه مع عدم احتمال إرادة غيره ومثله في القرآن كثير « إن الله لا يظلم الناس شيئا، لا يظلم ربك احدا ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، واعلم أنه لا إله إلا الله » وأمثالها

وكذلك الظاهر لا تأويل فيه بعد معرفته والعلم به ، وإنما يقع الخلاف والنزاع في تمييز ما هو الظاهر (مثلا) اختلفوا في «اليد» من قوله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » فذهب بعض إلى أن المتبادر من لفظ اليد عند الإطلاق هو جملة العضو إلى المنكب فيكون حقيقة فيه وظاهرا منه حال الاستعمال ، وذهب آخرون الى ان اليد يقع على العضو وعلى ابعاضه وإن كان لها اسماء تخصها ، فيقولون غوصت يدي في الماء الى الأشاجع«١» وإلى الزند ، وإلى المرفق ، والى المنكب ، فيكون مجملا ، وربما وقع الخلاف ايضا في وجوب العمل بظاهر القرآن ، وإن كان الذي عليه المحققون من اصحابنا وجوب العمل على طبقه ، وصحة الاحتجاج به، بتقريب

«١» الأشاجع أصول الاصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف الواحدة اشجع (مجمع البحرين)

أن طريقة العقلاء مستقرة على اتباع الظاهر في تعيين المراد مع القطع بعدم الردع عنها ، وان الشارع لم يخترع طريقة أخرى في مقام الإفادة لمرامه من كلامه

وكيف كان فإن الغرض التنبيه على أن هذا النوع ايضا من القرآن لاتأويل فيه ، وهو واضح ، فإن التأويل كما أسلفنا هو (ارجاع الكلام وصرفه عن معناه الظاهري إلى معنى أخفى منه) وهذا لا إرجاع فيه ولا صرف فتدبر

ثم ان التأويل والتفسير قد يتولاه الله تعالى بنفسه فيبين مقصوده ومراده من كلامه بكلامه ، وقد يوكل ذلك إلى رسوله ﷺ وإلى الراسخين في العلم من بعده

قال الله تعالى شأنه « إنها بقرة صفراء فاقع لونها » فإنه بيان لقوله تعالى « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » وقال ﷺ (صلوا كما رأيتموني أصلي) فإنه مع فعله ﷺ بيان لقوله تعالى « أقيموا الصلاة » وقال ﷺ (فيما سقت السماء العشر) فإنه بيان لقوله تعالى «وآتوا الزكاة»، وقال ﷺ (من كنت مولاه فعلي مولاه) فإنه بيان لقوله تعالى « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » وحكم علي عليه السلام

ان أقل الحمل ستة اشهر بيان لقوله تعالى « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً »(١) وقوله عليه السلام « إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل » (٢) فإنه بيان لقوله تعالى « وإن كنتم جنباً فاطهروا » ومثل هذا كثير

---

(١) روى ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله والمفيد في الإرشاد أن عمر بن الخطاب (رض) أتي بامرأة ولدت لستة اشهر فهمّ برجمها فقال له علي بن ابي طالب عليه السلام إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إن الله تعالى يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) ويقول جل قائلا (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) فإذا تمت المرأة الرضاعة سنتين وكان حمله وفصاله ثلاثين شهرا كان الحمل منها ستة اشهر ، فخلى عمر سبيل المرأة ، وثبت الحكم بذلك فعمل به الصحابة والتابعون ومن أخذ عنه إلى يومنا هذا

(٢) هذا هو رأي علي (ع) والشيعة في ذلك تبع له ، وما في قواعد التحديث من ان علي (ع) كان لا يرى وجوب الغسل من الاكسال (المواقعة من غير إنزال) خطأ

فإن قلت ما الدليل على ان الله تعالى أوكل إلى رسوله ﷺ وإلى الراسخون في العلم من بعده تأويل كتابه وتبيين ما انبهم على الخلق والعباد منه

قلت قد علمت ان في القرآن مايحتاج إلى التفسير والتأويل ، وبديهي ان الله تعالى لم ينزله إلا ليعلم الناس ما فيه فيعملون على موجبه ، ومن اولى بذلك من رسوله الذي انزله عليه ومن الراسخين في العلم من بعده الذين أشار اليهم رسول الله ﷺ

قال الله تعالى في الآية العاشرة من سورة آل عمران « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات » أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاجمال و الاحتمال « هن أم الكتاب » أي أصله ترد اليها غيرها « وأخر متشابهات » لا يتضح مقصودها لإجمال أو مخالفة ظاهر إلا بالفحص والنظر (١) « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » على مايشتهونه (وما يعلم تأويله) الذي يجب أن يحمل عليه (إلا الله والراسخون في العلم) فترى الآية صريحة الدلالة على ان في القرآن متشابه لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ، ولا ريب بأن رسوله ﷺ سيدهم ، ومن قال بأن المتشابه قد استأثر الله بعلمه فلا يعلمه غيره والراسخون في العلم يقولون آمنا فقد أخطأ خطأً بينا ، وذلك ان ما انزله الله على رسوله لا فائدة به اذا لم يطلع رسوله على المقصود منه ، ومالا فائدة به لا يُنزله الله ، وجملة (يقولون آمنا) ليست خبراً بل هي حال وتقديره قائلين (آمنا بالله كل من عند ربنا) ومثله قول ابن المفرغ الحميري

الريح تبكي شجوة والبرق يلمع في غمامه

تقديره والبرق يبكي ايضاً لامعا

وقال تعالى شأنه (ما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا)

وقال سبحانه في آية ٤٤ من سورة النحل (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس

(١) عن البيضاوي

ما نزل إليهم ، ولعلهم يتفكرون)

وفي آية ٦٤ منها (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه

فترى في هذه الآيات ايضا التصريح الشافي بإيكال البيان إلى رسوله ﷺ بما

مزيد عليه

وقال جل شأنه في آية ٤٣ من سورة النحل أيضاً (فاسئلوا أهل الذكر ان كنت

لا تعلمون بالبينات وفي آية ٧ من سورة الأنبياء فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون

ولم يامر الله تعالى سؤال أهل الذكر إلا وعندهم علم ما يسألون عنه ويجب عليهم بيانه

ومن هم اهل الذكر . الذكر هو القرآن ، قال الله تعالى (إنه لذكر لك ولقومك

وقال (والقرآن ذي الذكر) وقال (أنزل عليك الذكر من بيننا) فالذكر هو القرآن

واهله انما هم العلماء به العاملون بما فيه وقد اوضح عنهم رسول الله ﷺ فيما اتفقت

الأمه عَلَى روايته حيث يقول (اني مخلف فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل

بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً) وقال) علي مع الحق والحق مع

علي) [1] وقال (اقضاكم علي) [2] فهل تريد أوضح من ذلك وأشفى للقلب منه إذ

قد أوضح الله تعالى لنا ان الواجب الرجوع في تفسير القرآن وتأويله الى رسوله ﷺ

والى الراسخين في العلم الأئمة من آل محمد سلام الله عليهم جميعاً ، وهذا هو الحق الذي

يجب اعلانه ، والعدل الذي يلزم السير عليه ، والطريق الذي من سلكه وصل ، والحبل

الذي من تمسك به آمن ، والسفينة التي من ركبها نجا ، والباب الذي من دخله غفر له

(دعوا كل قول غير قول محمد فعند بزوغ الشمس ينطمس النجم)

---

(١) اخرجه الطبراني في الاوسط كما في الفصل الثاني من الباب التاسع من الصواعق المحرقة ص ٧٤

(٢) اخرج البخاري صفحة ٢٧ من المجلد السادس شهادة عمر بن الخطاب لعلي (ع) بذلك

المطلب الثاني

الحديث ، ندوينه ، وجوب العمل به ، اختلافه مع القرآن ، اختلافه مع حكم العقل

﴿ الحديث ﴾

هو الخبر قليله و كثيره ، وجمعه (أحاديث) على غير القياس[1] وفي (قواعد التحديث) ص٣٥عن ابي البقاء (الحديث هو اسم من التحديث) وهو الاخبار ، ثم سمي به قول ، او فعل ، او تقرير ، نسب الى النبي عليه الصلاة والسلام ، ويجمع على أحاديث على خلاف القياس ،ومثله على البحر ،قال (وانما سميت هذه الكلمات والعبارات احاديث كما قال الله تعالى (فليأتوا بحديث مثله[2] لأن الكلمات تتركب من الحروف المتعاقبة المتوالية ، و كل واحد من تلك الحروف يحدث عقيب صاحبه، أو لأن سماعها يحدث في القلوب من العلوم والمعاني) أقول وهو الأنسب ، قال ذو الرمة

استحدث الركب من أشياعهم خبرا أم عاود القلب من اطرابه طرب (٣)

و كيف كان فإن ماهية الحديث ومعناه معلوم فإن الكلام الحاكي قول المعصوم أو فعله أوتقريره ، ويقرب منه قول العلامة جمال الدين القاسمي في ص٣٥من كتابه (قواعد التحديث) عند ذكر ماهية الحديث والخبر والأثر (ان هذه الثلاثة مترادفة عند المحدثين على معنى ما أضيف الى النبي ﷺ قولا او فعلا اوتقريرا اوصفة ،وفقهاء خراسان يسمون الموقوف أثرا ، والمرفوع خبرا ، وعلى هذه التفرقة جرى كثير من المصنفين انتهى

ولعمري انه ليس في معنى الحديث ومفهومه اجمال أو إبهام يستدعي الاسهاب وطول الكلام ، فاللازم إذن قصر الكلام على الأمور المهمة منه وهي اربعة

---

(١) مختار الصحاح (٢) سورة الطور ، آية ٣٤ (٣) اساس البلاغة

١ ﴿ تدوين الحديث ﴾

لا يشك أحد أن في تدوين الشيء و كتابته حفظاً له من النسيان ، وصيانة له عن وقوع الخطأ فيه ، ورعاية له من التحريف ودخول غيره به ، وهـذا المعنى بديهي لا يحتاج في الحكم بحسنه ورجحانه الى دليل ، ومع ذلك فقد سمعت ورأيت كيف أن الله تعالى شأنه امر بكتابة الدين وحث عليها ، وذكر انها من القسط والعدل ، سواء كان الدين صغيراً او كبيراً ، قال سبحانه في آية ٢٨٢ من سورة البقرة « وإذا تداينتم بدين فاكتبوه » قال « ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً او كبيراً إلى اجله ، ذلكم أقسط عند الله » هذا والمال أمر يسير فكيف إذا كان هناك امراً جليلاً يخشى عليه الضياع ، ولا يؤمن من التغيير فيه ، والتحريف والتبديل ، مع شدة الحاجة الى ضبطه وإتقانه وزيادة على هذا انه مما قد امر الله تعالى بالاعتماد عليه والرجوع اليه ، ألم يقل الله تعالى « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ألم يقل « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » فما كان بهذه المكانة من وجوب الرجوع اليه والاعتماد عليه ، وبهذه المنزله من النفاسة وعلو الدرجة بحيث انه « وحي يوحى علمه شديد القوى » كيف لا يكتب و كيف لا يتبع فيه اشد درجات الحفظ والرعاية ، ولقد صح عن رسول الله ﷺ كما في صفحة ١٩ من (قواعد التحديث (انه قال نضر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها ، وبلغها من لم يسمعها ، وقال ابن تيمية كما في صفحة ٣٦ من القواعد روي ان عبدالله بن عمرو كان يكتب ما يسمع عن النبي ﷺ فقال له بعض الناس ان رسول الله ﷺ يتكلم في الغضب ، فلا تكتب كل ما تسمع ، فسأل النبي ﷺ عن ذلك فقال اكتب ، فوا الذي نفسي بيده ما خرج من بينهما الا حق) يعني شفتيه الكريمتين ، قال وقد ثبت عن ابي هريرة انه قال لم يكن احد من اصحاب رسول الله ﷺ احفظ مني إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب بيده ، و كان عند

آل عبد الله بن عمرو بن العاص نسخة كتبها عن النبي ﷺ انتهى

وقال الشافعي ، واحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، وغيرهم في حق هذه النسخة ، كما في ص٣٧من القواعد (واذا كانت نسخة مكتوبة من عهد النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم كان هذا أوكد لها ، وادل على صحتها) انتهى

واعلم انه مع ذلك اختلف في تدوين الحديث و كتابته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمر بذلك علي (عليه السلام) ونهى عنه عمر (رض) ومن هنا لا تزال تفتخر الشيعة بسبقها الى كتابة الحديث والتأليف فيه

ولا جرم فإن عمر (رض) نهى عن أشياء « ولست اقول ذلك ذاماً له ، ومشنعاً عليه ، فإني لا اذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلا بخير ما استطعت ولكنه الحق نقوله ليعمل عليه والباطل نذكره ليجتنب عنه ، نهى عن التيمم للجنب عند عدم وجود الماء(١) والله تعالى يقول « فلم تجدوا ماء فتيمموا » ولقد ادركت الأمة ان الواجب التيمم فلم يوافقوه على رأيه ، ونهى عن المتعة ، وقد أخرج البخاري في كتاب التفسير من صحيحه عند ذكر قوله تعالى « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج » باسناده عن عمران بن حصين قال أنزلت آية المتعة في كتاب الله ، ففعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنها ، حتى مات قال رجل (يعني عمر) برأيه ما شاء) فأطاعه وعمل برأيه بعض وامتنع آخرون ، ونهى عن اكتتاب الحديث وتدوينه ، او اعتذر له بأنه خاف أن يختلط الحديث بالقرآن ، و كيف كان فقد عمل برأيه إلى ايام عمر بن عبد العزيز ، وهناك أمر ابن عبد العزيز الناس أن يكتبوا الحديث خيفة عليه من الضياع ، فكتبوا وألفوا فيه المؤلفات

---

(١) قال في صفحة ٣١٥ من القواعد روى الشيخان انه كان من مذهب عمر بن الخطاب ان التيمم لا يجزي للجنب الذي لا يجد ماء فروى عنده عمار امر رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالتيمم فلم يقبل عمر حتى استفاض الحديث في الطبقة الثانية فأخذوا به : انتهى ملخصا

وحسبك منه قوله تعالى « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » فإنه القول الفصل ، ويكفيك في بيان شرف الحديث وفضله أن الله تعالى يقول فيه « إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى » وأخرج ابو داود في مراسيله (كما في صفحة ٣٢ من قواعد التحديث عن حسان بن عطية قال : كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسنة كما ينزل عليه القرآن ، ويعلمه اياها كما يعلمه القرآن

وعن مكحول ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله (آتاني الله القرآن ومن الحكمة مثليه)

واخرج ابو داود والدارمي وابن ماجه (كما في صفحة ٣٢ من القواعد ايضا عن المقدام بن معديكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله (الا اني اوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، وان ما حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما حرم الله

وروى البيهقي من رواية الحسن بن قتيبة عن ابن عباس (كما في صفحة ٣٠ من القواعد) رفعه (من تمسك بسنتي عند فساد امتي فله اجر مئة شهيد)

وفي صفحة ٣٣ منها عن الشافعي (جميع ما تقوله الأئمة شرح للسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن)

ولست اراني في هذا المقام بحاجة للاستشهاد على وجوب العمل بالحديث بهذه الأحاديث لولا أن بها انشراحاً للصدر ، وأنسا للنفس والا فقول الله تعالى وتحريضه في كتابه على طاعة رسوله صلى الله عليه وآله مقرونة بطاعته كفاية وغنى ، قال الله تعالى في

آية ٧٩ من سورة النساء (من يطع الرسول فقد اطاع الله) وفي آية ١٢ منها (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم » وفي آية ٥٢ من النور « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » وفي آية ٥٤ منها « قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ، وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين » وفي آية ٧١ من الأحزاب « ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما » وفي آية ١٧ من سورة الفتح « ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذاباً أليما »

نعم لقد علم الله وعلم رسوله صلى الله عليه وآله وعلم اعلام المسلمين أن في الناس كذابين وانهم كذبوا على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وعلى المسلمين ، ولقد أنزل الله سبحانه في ذلك نهيا عن الكذب وردعاً لأهله عنه (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون [1]) (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين [2])

وقال صلى الله عليه وآله (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) وأفتى اصحابنا الشيعة بأن الكذب على الله أو على رسوله صلى الله عليه وآله ، او على احد من الأئمة ، او على غيرهم من الأنبياء والاوصياء سلام الله عليهم جميعاً ، كبيرة من الكبائر ، وانها توجب بطلان الصوم ، اذا وقعت في شهر رمضان

ولقد وضع الله للناس قاعدة يجرون عليها تخلصاً من الكذب والكذابين قال سبحانه في آية ٦ من الحجرات « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »

ووضع أهل العلم قسطاساً وموازين لذلك ، وجعلوا الحديث باعتبار رواته الناقلين

---

(١) آية ١٠٥ من سورة النحل (٢) آية ٦٠ من سورة الزمر

له أوصاف ومنازل ، منها المتواتر ، والصحيح ، والحسن ، والموثق ، والضعيف ، والمرسل ، والمضمر ، والموقوف ، والمرفوع ، وغير ذلك ، وجعلوا لكل حكمه من حيث العمل به ، أو رده او الوقوف عنده ، والعلم الباحث عن ذلك سموه (علم الدراية) كما أنهم بحثوا عن احوال الرواة من حيث الصدق والعدل والتقوى والأمانة التي هي شرط في قبول حديثهم ، والأخذ برواياتهم ، والعلم الباحث عن ذلك سموه (علم الرجال) فلم يتركوا هذا الأمر فوضى ، ولم يدعوه لكل أحد يقول على ما يهوى ويشتهي عابثاً

إذا عرفت ذلك فاعلم انه قد اتفق أهل العلم على وجوب العمل بالمتواتر من اصناف الحديث لفظاً أو معنى ، ومثله المحفوف بقرينة ، تفيد القطع بصدوره وهو كثير منه ما ورد في كتب أخواننا السنة ورواياتهم من بيان فضل أهل البيت (ع) ومدحهم والدلالة على إمامتهم ، ووجوب طاعتهم فإن وجوده في كتبهم مع مخالفته لملوكهم وسلاطينهم ومناداته بأن الحق لغيرهم والخلافة والإمامة فيمن عداهم ومع ما كان من بني أمية من التنكيل بمن أحب أهل البيت أو روى في حقهم وفضلهم حديثاً آية صدق تدل على صحة صدور تلك الأحاديث عن النبي (ص) ولو لم تكن كالشمس وضوحاً وجلاء وصحة واستفاضة لما بقيت مدونة في كتبهم مع كل هذه الموانع

أما الصحيح من الأحاديث فقد قال الحافظ بن حجر في (شرح النخبة) كما في صفحة ٦٥ من (قواعد التحديث) : (اتفق العلماء على وجوب العمل بكل ما صح ، ولو لم يخرجه الشيخان) وقال الإمام شمس الدين بن القيم في اعلام الموقعين كما في صفحة ٦٥ من القواعد ايضاً (والذي ندين الله به ولا يسعنا غيره أن الحديث إذا صح عن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ولم يصح عنه حديث آخر ينسخه ان الفرض علينا وعلى الأمة الأخذ بحديثه وترك ما خالفه ولا نتركه لخلاف أحد من الناس كائنا من كان لا راويه ولا غيره وفي كتاب ﴿ قاموس الشريعه ﴾ للسعدي « إذا رفع

الصحابي خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بايجاب فعل وجب العمل به على من بلغه من المكلفين)

وقال ابن القيم في ص ٣٢ من كتابه « اعلام الموقعين » ايضا كان الامام احمد اذا وجد النص أفتى بموجبه ولم يلتفت الى ما خالفه ولا من خالفه كائنا من كان ولذا لم يلتفت الى خلاف عمر رضي الله عنه في المبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس (١) ولا الى خلافه في التيمم للجنب ، لحديث عمار بن ياسر (٢) ولا خلافه في استدامة المحرم الطيب الذي يطيب به قبل احرامه لصحة حديث عائشة في ذلك (٣) ولا خلافه في منع المنفرد والقارن من الفسخ الى التمتع لصحة أحاديث الفسخ (٤) (قال) ولم يكن

---

(١) قال محمد بهجة البيطار في حاشيته على قواعد التحديث ص٦٦ تجد حديثها (يعني فاطمة بنت قيس) في الصحيحين والسنن ، وخلاصته ان زوجها قد طلقها ثلاثاً ، ولم يجعل لها الرسول (ص) سكنى ولا نفقة وقد انكر عليها عمر وعائشة هذا الحديث ، وقال عمر (لا نترك كتاب الله وسنة نبينا لقول امرأة لا تدري ، لعلها حفظت أو نسيت) فقالت فاطمة (بيني وبينكم كتاب الله) قال الله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) .. حتى قال « لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » (سورة الطلاق آية ١) فأي أمر يحدث بعد الثلاث ؟ راجع نيل الاوطار ج٦ ص ٢٣٨ (٢) قال . يشير إلى ما أورده البخاري في صحيحه ، ومنه قول عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما (أما تذكر إنا كنا في سفر ، أنا وأنت ، فأما أنت فلم تصل ، واما أنا فتمعكت (اي تمرغت في التراب) فصليت ، فذكرت ذلك للنبي (ص) فقال النبي (ص) : كان يكفيك هكذا فضرب النبي (ص) بكفيه الارض ونفخ فيهما ، ثم مسح بها وجهه و كفيه (اي إلى الرسغين) « قال » وهذا مذهب احمد فلا يجب عنده المسح إلى المرفقين ، ولا الضربة الثانية إلى الكفين . راجع شرح القسطلاني للبخاري ج ١ ص ٧٢ (٣) قال يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عائشة قالت (كنت أطيب رسول الله (ص) لإحرامه حين يحرم ، ولحله قبل ان يطوف بالبيت) واستدل به على استحباب التطيب عند إرادة الاحرام ، وجواز استدامته بعد الاحرام . راجع فتح الباري ج ٣ ص ٣١٥ — ٣١٦ (٤) احاديث الفسخ من الحج إلى العمرة في البخاري وغيره ، وفيها امر النبي صلى الله عليه وآله بجعل الحج عمرة لمن لم يسق الهدي معه . راجع فتح الباري ج ٣ ص ٣٣٤ — ٣٤٤

يقدم على الحديث الصحيح عملا ولا رأيا ولا قياسا ،ولا قول صاحب ،(يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)

وقال الشعراني في الميزان صفحة ٧١ وقد تقدم قول الأئمة كلهم (إذا صح الحديث فهو مذهبنا) (وقال) في صفحة ٢٠ كما في صفحة ٦٨ من قواعد التحديث (وقد بلغنا من طرق صحيحة ان الإمام الشافعي ارسل يقول للإمام احمد بن حنبل (اذا صح عند كم حديث فأعلمونا به ، لنأخذ به ونترك كل قول قلناه قبل ذلك) .

وقال العمدة الشهير محمد عابدين الدمشقي في شرح المنظومه المسماة بعقود رسم المفتي (كما في صفحة ٦٩ من (قواعد التحديث) فقد صح عن ابي حنيفة أنه قال (اذا صح الحديث فهو مذهبي) أما الشيعة فقد حكي عن بعض محققيهم اجماعهم على العمل بالحديث الصحيح (١) فظهر لك من هذه الجملة ما يجب العمل به من الحديث جليا بصورة لا تقبل الشك ، ولا يصح معها الارتياب

نعم هنا شيء يجب التنبيه عليه ، وهو انه رب حديث صحيح من حيث السنة مخالف للقرآن ، ورب حديث مخالف لحكم العقل ، فما نصنع به وما يجب علينا في حقه

فنقول ان الراوي وان كان ثقة عدلاً الا أنه قد يشتبه وقد يخطئ فليس معنى (هذا الحديث صحيح) الا أن سلسلة رواته من عدول المسلمين وثقاتهم ، وان الواجب العمل على طبقه ما لم يتبين الاشتباه والخطأ ، فإذا تبين ذلك كما اذا كان مخالفاً للقرآن ، أو لحكم العقل كان مردوداً بلا ريب ، واللازم بيان المواضع التي يتخالف فيها الحديث

---

(١) قال صاحب المعالم « ره » في باب العمل بخبر الآحاد (اما الإمامية فالاخباريون منهم لم يعولوا في اصول الدين وفروعه إلا على اخبار الآحاد ، المروية عن الأئمة عليهم السلام ، والأصوليون منهم كأبي جعفر الطوسي وغيره وافقوا على قبول خبر الواحد ، ولم ينكره سوى المرتضى « رض » واتباعه لشبهة حصلت لهم ، وقد حكى المحقق « رض » عن الشيخ سلوك هذا الطريق في الاحتجاج للعمل باخبارنا المروية عن الأئمة مقتصراً عليه فادعى الاجماع على ذلك . انتهى

والقرآن ، والحديث والعقل ، والاشارة ولو على سبيل الاجمال اليها

٣ ﴿ اختلاف القرآن والحديث ﴾

من المعلوم البديهي أن القرآن والثابت من حديث رسول الله ﷺ لا خطأ فيهما ، ولا ريب ، كما لا ريب بأنهما لا يختلفان (أي لا يأمر القرآن بشيء ثم ينهى الحديث عنه ، ولا ينهى القرآن عن شيء ثم يأمر الحديث به) فإذا وجد في الحديث ما يخالف القرآن كذلك ، فالحديث مكذوب غير صحيح ، وبعبارة أوضح من هذه أن الحديث معروض ، والقرآن معروض عليه فما وافق القرآن من الحديث قبل ، وما خالفه اجتنب ، والمراد من القرآن المعروض عليه انما هو نصوصه ومحكماته ، اما ظواهره ومجملاته فالحديث مفسر لها ، وشارح لإجمالها ، فمخالفة الحديث التي توجب رده انما هي المخالفة على سبيل المباينة كما مثلنا ، أما اذا كان على نحو العموم والخصوص ، والاطلاق والتقييد فقد قال أهل العلم — ومحل ذلك أصول الفقه — بتخصيص عموم الكتاب وتقييد اطلاقه — كتبيين مجمله — بالحديث وهو حقيق بالقبول

(خذ مثلا) قال الله تعالى (والزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) وهذا الحكم كما تراه عام لكل زانٍ وزانية مع ان المسلمين مجمعون على ان الزانية أو الزاني اذا كان حراً محصناً يجب رجمه ، على حين ان هذا الحكم لم يرد في القرآن أبداً ، وانما ورد في الحديث ، فقد أخرج مسلم وغيره كما في ص ٢٦٢ من بداية المجتهد أن علياً عليه السلام جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ، ورجمها يوم الجمعة ، وقال (جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ) وفي حديث عبادة بن الصامت انه ﷺ قال البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم بالحجارة) فإذن قد خصصوا عموم الكتاب بالسنة قال الإمام ابن رشد في بدايته (فأما الثيب الأحرار المحصنون فإن المسلمين أجمعوا على ان حدهم الرجم) قال (وانما

صار الجمهور للرجم لثبوت أحاديث الرجم فخصصوا الكتاب بالسنة) انتهى

وقال الله تعالى في سورة البقرة آية ٢٢٩

(الطلاق مرتان ، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره) والمعنى في هذه الآية الشريفة ان الرجل اذا طلق امرأته ثلاثا فلا تحل له حتى تعقد على زوج آخر (اذ ان معنى النكاح العقد) فإن عقدت على زوج آخر ثم طلقها حلت للزوج الأول ، سواء وطأها الزوج الآخر أم لم يطأها ، فالآية من هذه الجهة مطلقة ، مع ان الجمهور قائلون بعدم حليتها للزوج الاول بدون الوطء لحديث رفاعة بن سموأل وهو أنه طلق امرأته تميمة بنت وهب ثلاثا فنكحت عبد الرحمن بن الزبير ، فاعترض عنها فلم يستطع أن يمسها ، ففارقها عبدالرحمن ، فأراد رفاعة زوجها الأول أن ينكحها ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنهاه عن تزويجها ، وقال «لا تحل لك حتى تذوق العسيلة»[1] فقيدوا اطلاق الآية بالحديث

وقال الله تعالى شأنه (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) قالوا بأن الآية مجملة لأنهم لم يعلموا المقصود من اليد هنا ، فقد أطلقت اليد في بعض المواضع على الأصابع كما في قوله تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، وانما كتبوا بالأصابع ، وأطلقت في موضع آخر على ما يشمل الكفين والزندين كما في قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق) فالآية مجملة ، وجاء في الحديث ان امير المؤمنين علياً عليه السلام أمر بقطعها من الأصابع فكان ذلك بيانا لما اجمل من معنى اليد ، ومثله كثير ، فإذن قد ثبت ان الحديث اذا كان مخالفاً للقرآن على نحو العموم والخصوص والاطلاق والتقييد والاجمال والبيان لا يترك الحديث ، بل يعمل بهما جميعاً ، أي يعمل بالحديث في خصوص الخاص مثيلاً ويعمل بالآية بما بقي تحت العام بعد التخصيص فتدبر

---

(١) بداية المجتهد لابن رشد ص ٥٢

٤ ﴿ اختلاف الحديث والعقل ﴾

نريد بالعقل هنا احكامه المستقل بها، كحكمه بنفي الشريك لله، وعدم جسمانيته تعالى، ووجوب عصمة الأنبياء والرسل، وامتناع التكليف بما لا يطاق وبغير المقدور فإن التكليف بهما ظلم للمكلف، والعقل مستقل باستحالة الظلم على الله، وكذلك التكليف بما لا فائدة به، فإنه عبث والعقل مستقل أيضاً باستحالة العبث على الله، الى غير ذلك مما هو من هذا القبيل، فكل حديث يثبت حكماً يتباين ويتنافى مع حكم العقل كما بينا، فذلك الحديث مكذوب لا صحة له، وان كان موجوداً في الصحاح

هذه هي الضابطة المعوّل عليها في هذا الباب، فاحفظ ذلك وكن منه على ذكر فإن كثيراً من الناس يخبطون في هذا المقام خبط عشواء، فكلما رأوا حديثاً لا يجتمع مع عقليتهم الفاسدة بفساد ما أودعوا فيها من الخرافات والأضاليل قالوا هذا ينافي العقل أجل ينافي عقلياتهم الفاسدة، ولكن الحديث إنما يرد لمنافاته احكام العقل كما بينا

ويمكن ان أورد لك بعض الاخبار المنافية لحكم العقل ايضاحاً للأمر، اخرج البخاري في صفحة ٧ من المجلد السادس في كتاب التفسير في باب قوله تعالى (هل من مزيد) من سورة (ق) بالاسناد إلى أبي هريرة قال · قال النبي صلى الله عليه وآله تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار إنما أنت عذابي اعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله (يعني الله تبارك وتعالى) فيقول قط قط قط فهنالك تمتلئ

واخرج أيضاً في هذا الباب نفسه عن أبي هريرة رفعه (يقال لجهنم هل امتلأت؟ وتقول هل من مزيد فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط

واخرج في هذا الباب أيضاً عن أنس انه (ص) قال (يلقى في النار وتقول هل من مزيد ، حتى يضع قدمه ، فتقول قط قط)

واخرج محمد بن جرير الطبري عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس ما ملخصه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قرأ من سورة (والنجم) في ناد من أندية قريش ، حتى إذا بلغ (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) القى الشيطان عليه كلمتين (تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترجى) فتكلم بها ثم مضى فقرأ السورة كلها

وهذه كلها منافية لحكم العقل بعدم جسمانية الله تعالى وحكمه بوجوب عصمة الأنبياء فتدبر

ومما ينافي القرآن والعقل ويباينهما جميعاً ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن عمرو ابن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال (ان آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء ان وليي الله وصالح المؤمنين

وعمرو بن العاص هو أحد الرجال الذين وضعهم معاوية بن أبي سفيان على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله واختلقوا ما أرضاه

ومنهم أبو هريرة والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير ، وهذا الحديث مما اختلقه عمرو بن العاص [1]

وان ابا طالب وبنيه ما عدا عقيل لم يقم قيامهم احد في موازرة رسول الله صلى الله عليه وآله ومناصرته ، وحسبك في ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال (ما نالت قريش مني ما أكره حتى مات ابو طالب)

---

(١) تجد التنبيه على هذا في صفحة ٨٥٣ من المجلد الاول من شرح النهج لابن ابي الحديد المعتزلي من اخواننا السنة

ولما اكرهت قريش طالب بن أبي طالب للخروج معها في بدر ذهب في الارض لم يعلم خبره إلى الآن وهو القائل :

يارب إما يغزون طالب في مقنب من هذه المقانب
فليكن المسلوب غير السالب وليكن المغلوب غير الغالب[1]

اما جعفر بن ابي طالب فإنه هو صاحب الهجرتين وهو ذو الجناحين وهو أمير جيش رسول الله (ص) غزوة في مؤته، فقاتل حتى قطعت يداه وقتل بعد أن أثخن بالجراح وهو الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله أبدله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة

وأما علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه هو وزير رسول الله (ص) ونصيره في مواقفه كلها، ومشاهده جميعها، وهو صاحب سره ومستودع علمه، لا يشك في ذلك احد

وهو صالح المؤمنين وهو المقصود بقوله تعالى (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين)

يحدثك من اعلام السنة السدي صاحب التفسير، وأبو نعيم الأصفهاني، والثعلبي في تفسيره، وأبو يوسف يعقوب بن سفيان النسوي، والكلبي؛ ومجاهد وأبو صالح، والمغربي عن ابن عباس، وعن اسماء بنت عميس، وغيرهما أن المقصود بصالح المؤمنين

﴿ علي بن ابي طالب (ع) ﴾

وانما قلنا ان هذا الحديث (مناف للعقل) لاشتماله على الكذب المنافي لحكم العقل بعصمة النبي (ص) (ومناف للقرآن) للآية المبين فيها انه وليه فافهم ومثل هذا في الحديث يوجد ولكن لا يعقله إلا العالمون والحمد لله رب العالمين

---

(١) تاريخ الطبري ص ٢٧٦ جزء ٢

المطلب الثالث

محمد صلى الله عليه وآله وسلم نشأته شيء من سيرته في أهل بيته وأصحابه

محمد هو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ،وهو رسول الله ، وهو الصادق وهو الأمين ، وهو البشير ، وهو النذير ، وهو الهادي إلى الله بإذنه ، وهو السراج المنير ، وهو خاتم أنبياء الله ، وهو سيد رسله ، وهو النور المبين

(مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

ذلك محمد صلى الله عليه وآله ، وذلك مثل نوره المبين وشجرته العالية وبيته الرفيع ورجاله الحافين به

ملك تلحظ العوالم منه خير من حل أرضها وسماها

نشأته

ولد محمد صلى الله عليه وآله في مكة ،قبل عام الفيل ، وتوفي أبوه وهو جنين في بطن أمه ، ولما ولد استرضع في بني سعد ،(قبيلة من قبائل العرب المجاورة مكة) وتوفيت أمه وهو طفل ، فكفله جده عبد المطلب ، ولما توفي وهو في الثامنة من عمره عهد بكفالته إلى عمه أبي طالب وفي ذلك يقول

أوصيك يا عبد مناف بعدي بواحد بعد أبيه فرد

فكان أبو طالب كفيله صغيراً ، وناصره والذاب عنه عند ظهور أمره كبيراً ، أليس هو القائل يخاطب قريشاً وقد تألبت على محمد تريد الوقيعة به

كذبتم وبيت الله نخلي محمداً ولما نناضل دونه ونقاتل

وننصره حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وبسعي أبي طالب ، وبحسن تدبيره تزوج محمد صلى الله عليه وآله خديجة ، وخديجة أكثر قريش مالاً ، وأوفر نسائها عقلاً وكمالاً ، تزوجها في الخامسة والعشرين من عمره بعد سفرتين قضاهما إلى الشام ، الأولى مع عمه أبي طالب ، والثانية في تجارة لخديجة ، ظهر بها لعمه أبي طالب ، وللراهب بحيرا ، ولخديجة من إمارات النبوة ، ومقدمات الرسالة ما اشتدت به نفوسهم ، وأشرفت على الإيقان بنبوته قلوبهم[1]

ومن ثم اشتدت عنايتها بالنبي صلى الله عليه وآله ، فكانت خديجة أول من آمن من النساء ، وكانت وزيرة صدق في الإسلام ، ألم يهبط جبريل على النبي صلى الله عليه وآله ، فيقول شاكراً لخديجة موازرتها (اقرأ خديجة من ربها السلام ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب[2]

وكان أبو طالب حامي حمى النبي صلى الله عليه وآله والواقف في وجه قريش دونه ألم يقل صلى الله عليه وآله (ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات ابو طالب)[3]

﴿ شيء من سيرته في أهل بيته وأصحابه ﴾

كانت سيرة محمد (ص) العدل وسبيله الانصاف وخلقه القرآن

المسلمون كلهم عنده في أمر الدين وما يتعلق بالتكليف شرع سواء فالفقير

---

(١) ذكر مضمون هذا الطبري في تاريخه وغيره (٢) اخرجه البخاري في كتاب المناقب من صحيحه (٣) اخرجه ابن جرير الطبري في صفحة ٢٢٩ في الجزء الثاني من المجلد الأول من تاريخه من حديث عروة

والغني والشريف والوضيع والسيد والمسود والقرشي والهاشمي والعربي والعجمي والفارسي والتركي والهندي والرومي كلهم في مقام التكليف وفروض العبادة ومظاهر الطاعة وشعائر الاسلام وواجبات الانقياد لله والاستسلام له سبحانه سواء فالصلاة والصوم على من بلغ والزكاة على من ملك النصاب والحج على من استطاع والزاني يجلد وإن كان محصنا يرجم والسارق تقطع يده والقاتل يقتل وهكذا من غير فرق بين قوم وقوم وطائفة وأخرى وشخص وآخر قال سبحانه : (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم . ولله على الناس حج البيت والزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة . والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما . النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص

ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم . تكليف عام وحكم شامل ما بين الله وبين أحد من عباده هوادة في إباحة ما حرمه على العالمين إن حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد وهكذا كان محمد (ص) يحكم بين الناس بما أمره الله ويحملهم على طاعته حسبما فرض

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

هذا مما لا ريب فيه . لا شك به . لا يختلج في قلب مسلم به شبهة . وإن المسلمين لا يزالون يفتخرون بأن الإسلام دين يساوي في الحكم بين الشريف والوضيع والسيد والمسود وحق لهم أن يفتخروا بهذا فإنه آية العدل التي لا تخفى وعنوان الحق الذي لا يزول

إلا انه مما لا ريب فيه أيضاً ان المسلمين متفاوتون في إسلامهم وإيمانهم وخصائص

وفضائلهم واعمالهم وأخلاقهم وان منهم الخصيص برسول الله (ص) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ومنهم من جمع إلى ذلك انه أول المؤمنين إيماناً وأعظمهم إخلاصاً وأكثرهم موازرة وأكبرهم جهاداً وأوفرهم فضيلة وأحسنهم عملاً ومنهم دون ذلك طرائق قدداً

وان منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرواضخ[1] ومنهم من اسلم خوفاً من عدو يريده ، فأظهر الإسلام تحصناً به من عدوه[2] ومنهم من جره الطمع وقادته الرغبة ، وذلك حينما تفرس في الإسلام القوة والظهور ، إلى غير ذلك من اصناف المسلمين وأنواعهم ، وكان رسول الله ﷺ يعلم ذلك كله منهم ، ويقدر كلاً قدره ، وهل جاء رسول الله ﷺ بالإسلام للناس إلا لهذه الغاية ، لينتشل من علم الله في قلبه خيراً ويرفعه ، ويقربه من الله ، ويقيم الحجة على من أبى (ليحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة)

تلك مهمة محمد ﷺ ، وهذه هي خصيصة الإسلام (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)

فلا جرم كان من اخلاقه ﷺ صلة الرحم ، واداء الأمانة ، والصدق ، والوفاء ، والمكافأة على الصنائع ، والإحسان للمحسن وتقريبه والتجاوز عن المسيء والاعراض عنه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة للخير ومحبة اهله وكان إذا رأى بأحد خيراً قربه وأدناه ، وربما أعلن للملأ عنه ليقتدى به ، وليهتدى بهديه ، وإذا رأى بأحد شراً نهاه عنه ، وصرفه عن فعله ، وربما أبعده وأقصاه ، وأعلن للملأ عنه ليحذر الناس منه ، وليتباعدوا عنه

---

(١) الرواضخ العطايا ، والذي رضخ له ابو سفيان وابنه معاوية (٢) كالمغيرة بن شعبة فإنه غدر برفقته فقتلهم واستلب اموالهم وجاء متحصناً بالإسلام فقبل اسلامه ولم يقبل ماله . راجع صفحة ٣٦٦ من المجلد الأول من شرح النهج

أخذ ﷺ علي بن ابي طالب من أبيه صغيراً ، فضمه إليه ، وقام بكفالته فكان علي عليه السلام عنده منذ نعومة أظفاره ، وضعه (ص) في حجره وهو وليد يضمه إلى صدره ، ويكنفه في فراشه ، ويمسه جسده ، ويشمه عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمه إياه ولقد قرن الله به (ص) من لدن أن كان فطيما أعظم ملكٍ من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره وكان علي عليه السلام يتبعه اتباع الفصيل أثر أمه وكان هو (ص) يرفع له في كل يوم من أخلاقه علما ويأمره بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فيراه علي ولا يراه غيره يفعل رسول الله (ص) ذلك مع علي عليه السلام صلة لرحمه ومكافأة لصنائع ابيه ابي طالب عنده ولما تفرس بعلي من الخير

ولما بعث (ص) دعاه فكان علي عليه السلام أول من آمن وأول من أجاب ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (ص) وخديجة وعلي ثالثهما[1]

ولقد أهله (ص) من أول أمره ومبتدأ نشأته ليكون وزيره في حياته ووصيه وخليفته في أمته بعد وفاته

فتراه يقول له وقد سمع علي عليه السلام رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (ص) فقال يا رسول الله ما هذه الرنة ؟ فقال هذا الشيطان قد أيس من عبادته (٢) إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا انك لست بنبي ولكنك لوزير وانك لعلى خير (٣)

وكان (ص) يحب فاطمة ابنته حباً شديداً ويكرمها إكراماً عظيما ويبين للملأ من المسلمين ما هي عليه من الفضل والكرامة عند الله

---

(١) تجد الشواهد على ذلك كله في صحاح الأحاديث ولقد أشار إليها ابن أبي الحديد في شرح النهج صفحة ٢٥١ — ٢٥٥ من المجلد الثالث فراجع وذكر ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة ذلك في صفحة ١٧ (٢) أخرج مضمون هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل في مسنده كما في ص ٢٥٤ من المجلد الثالث من شرح النهج (٣) في خطبة القاصعة من نهج البلاغة

روى البخاري ومسلم والترمذي عن النبي (ص) انه قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفي كتاب معالم العترة النبوية مرفوعاً إلى قتادة عن أنس (رض) قال · قال رسول الله (ص) (خير نسائها فاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون

وعن عائشة (رض) قالت لفاطمة (سلام الله عليها) ألا أبشرك اني سمعت رسول الله (ص) يقول (سيدات نساء أهل الجنة أربع مريم بنت عمران وفاطمة بنت محمد وخديجة بنت خويلد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون

وعن النبي (ص) قال إذا كان يوم القيامة قيل يا أهل الجمع غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد (ص) فتمر وعليها ريطتان خضراوان وفي بعض الروايات حمراوان

وحسبك دليلاً على فضلها وسيرة النبي (ص) معها وما بلغه من العناية والاهتمام بإعلان مكانتها ما ذكره في (نور الأبصار) صفحة ٤١ (وكلما ذكرناه هنا في حقها فهو موجود في هذه الصفحة منه) قال واخرج الطبراني بسند رجاله ثقات انه «ص» قال لها ان الله غير معذبك ولا أحد من ولدك [1] قال وروي عن مجاهد قال خرج النبي «ص» وهو آخذ بيد فاطمة فقال من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي بنت محمد وهي بضعة مني وهي قلبي وهي روحي التي بين جنبي من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله

وأخرج البخاري في صفحة ٧١ في باب قرابة النبي «ص» عن المسود بن مخرمة ان رسول الله «ص» قال « فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني »

وكذلك كانت سيرته «ص» مع ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام لما كان يعلم من مكانتهما ومنزلتهما عند الله

---

(١) يعني المعصومين منهم فهو بمنزلة الأنبياء عن عصمتهم سلام الله عليهم وعدم فعلهم ما يستحقون به العقوبة

أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن حذيفة بن اليمان كما في ص ٤١ من نور الابصار قال سألتني أمي متى عهدك بالنبي «ص» فقلت لها منذ كذا و كذا وذكرت مدة طويلة فنالت مني وسبتني فقلت لها دعيني فإني آتي رسول الله (ص) أصلي معه المغرب ثم لا أدعه حتى يستغفر لي ذلك ، قال فأتيت النبي (ص) فصليت معه المغرب والعشاء ثم انتقل (ص) من صلاته فتبعته فعرض له عارض فناجاه ثم ذهب فتبعته ، فسمع مشيتي خلفه فقال من هذا ؟ فقلت حذيفة ، فقال مالك ؟ فحدثته بحديث أمي ، فقال غفر الله لك ولأمك ، ثم قال أما رأيت العارض الذي عرض لي ، فقلت بلى يا رسول الله ، قال هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة ، استأذن ربي في أن يسلم علي ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وان فاطمة سيدة نساء العالمين

ولما أنزل الله على النبي (ص) « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » كان ﷺ من وقت نزول هذه الآية إلى قريب من ستة أشهر إذا خرج إلى الصلاة يمر بباب فاطمة ثم يقول « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً »(١)

ولقد اشبعنا الكلام في كتابنا « ذكرى الحسين (ع) » في بيان أحوال الحسنين ما فيه كفاية والغرض هنا الإشارة إلى سيرة النبي «ص» في أهل بيته ، وانه كان قصده كما اعلن «ص» فضل كثير من أصحابه تقديراً لهم وإعلاءً لشأنهم ، وإعلانا برضاه عن طريقتهم ، وتبليغاً للأمة علو منزلتهم ليهتدي بهم ضال ويقتدي بهم مسلم

كان صلى الله عليه وآله يمر بآل ياسر « عمار وابوه وأمه وهم يعذبون في الله » فيقول صبراً آل ياسر موعدكم الجنة ويقول في عمار نفسه « ويح عمار تقتله الفئة الباغية

(١) اخرجه الترمذي في صحيحه كما في ص ٩ من الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي

يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » فكان عمار ينادي يوم صفين وهو يقاتل بين الصفين مستبشراً بما وعده به رسول الله صلى الله عليه وآله «الرواح إلى الجنة» يكررها ويقول وقد نظر راية عمرو بن العاص، والله انها لراية قدقاتلتها ثلاث عركات، وماهذه بأرشدهن، ثم قال

نحن ضربناكم عَلَى تأويله　　كما ضربناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله　　ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

ولما استسقى وقد اشتد عطشه فسقي شربة من لبن قال « الجنة تحت الأسنة »

اليوم القى الأحبه　　محمداً وحزبه

والله لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وانهم على الباطل ولم يزل يقاتل حتى قتل «١»

وقال «ص» في ابي ذر رضي الله عنه كما في ترجمته من الاصابة « ما اقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من ابي ذر » وقال صلى الله عليه وآله — كما في « القرماني » — في سلمان الفارسي « ذاك امرؤ منا أهل البيت أدرك علم الأولين وعلم الآخرين » وقال صلى الله عليه وآله كما في ترجمة المقداد من الاصابة وأخرجه الترمذي والحاكم وصححه عن بريدة كما في ص٧٢ من نور الأبصار « ان الله أمرني بحب أربعة وأخبرني انه يحبهم قيل يا رسول الله سمهم لنا قال « علي منهم وابوذر والمقداد وسلمان» اخبرنا مايريد بذلك رسول الله «ص» ؟ أليس من الواضح انه يريد بهذا البيان إظهار فضل هؤلاء والإعلان بأنهم على حق ليهتدي بهم ضال، ويقتدي بهم مؤمن؟ وكذلك اعلانه «ص» ابعاد بعض والبراءة من فعل آخر واخباره عن قوم بأنهم يمرقون من الدين لم

(١) تجد ذلك في صفحة ٢٧٣ — ٢٧٤ من المجلد الثاني من شرح النهج وفي الاصابة في ترجمة عمار

يفعل ذلك «ص» إلا بياناً لمنزلتهم وتحذيراً للناس من ارتكاب مثل فعلهم طرد الحكم ابن ابي العاص، وتبرأ من فعل خالد لما قتل بني جذيمة واخبر عن الخوارج ومروقهم عن الدين

روى الواقدي وغيره «كما في صفحة ٢٣٢ من المجلد الأول من شرح النهج» ان الحكم بن ابي العاص لما قدم المدينة بعد الفتح أخرجه النبي صلى الله عليه وآله إلى الطائف وقال لا تساكنني في بلد أبداً، فجاءه عثمان فكلمه فأبى، فلم يزل الحكم مطروداً أيام أبي بكر وعمر إلى أن آواه عثمان

وأخرج البخاري في باب غزوة الطائف من صحيحه انه تبرأ من فعل خالد بن الوليد ببني جذيمة فقال «اللهم إني أبرء اليك مما صنع خالد» مرتين

وأخرج الطبري في صفحة ١٣٧ من الجزء الثالث من تاريخه عن عبد الله بن عمرو ابن العاص فقال أقبل رجل من تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف على رسول الله ﷺ وهو يعطي الناس فقال يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم (يعني يوم قسم غنائم حنين) فقال رسول الله أجل فكيف رأيت؟ قال لم أرك عدلت، فغضب رسول الله ﷺ ثم قال ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟ فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله ألا نقتله؟ فقال لا، دعوه فإنه سيكون له شيعة، (يريد الخوارج) يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يوجد شيء، ثم في الفوق فلا يوجد شيء، سبق الفرث والدم)

وقال ابو سعيد الخدري (كما في مجمع البيان) كما قال عبد الله بن عمرو بن العاص إلا انه قال فيه ان له أصحابا يحتقر احدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فينظر في قذذه (ريشه) فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رصافه — ما يرصف به من العقب — فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نصله — حديدته — فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم — فلم يتأثر بشيء

من الرمية — آيتهم رجل أسود في احدى ثدييه أو قال احدى ثدييه مثل ثدي المرأة تدردر — ترجرج — ويخرجون على خير فرقة من الناس (وفي حديث آخر فإذا خرجوا فاقتلوهم) قال أبو سعيد الخدري اشهد اني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد ان عليًا عليه السلام حين قتلهم جيء بالرجل على النعت الذي نعته رسول الله صلى الله عليه وآله[1]

والغرض من ذلك بيان أن رسول الله صلى الله عليه وآله قرب من قرب وأبعد من أبعد يريد من التقريب والإبعاد ما أشرنا اليه ولعمري انه من الأمور الواضحة التي يستحي المرء أن يكتب فيها ويتكلم عليها لبداهتها ولكن ما تصنع بمن يريد أن يلقي الشبهة ويوقع الفتنة ويغم الأمر، ويضرب بين الناس والحق حجابا من التشكيكات والناس اليوم كثير منهم كالذين كانوا على عهد الجاهلية لا يعرفون من الإسلام والمسلمين شيئًا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

سبحان الله كيف يتوهم المرء أن رسول الله صلى الله عليه وآله ما قرب ولا بعد ولا أعلى ولا أنزل ، ولا أعطى ولا منع ، إذن ماذا صنع رسول الله صلى الله عليه وآله ولماذا بعث ؟ وكيف يتخطى رسول الله الطريقة التي سنها الله في كتابه ؟ وها هو بين أيدينا مملوء ببيان تقريب قوم وإبعاد آخرين والمدح والثناء على أشخاص واللعن

---

(١) ورواه الثعلبي في تفسيره ونقله في سادس البحار ص ٩٧٠ عن اعلام الورى عن ابي سعيد الخدري وقال رواه البخاري في الصحيح وأخرج الخوارزمي في كتابه المناقب ص ١٧٧ بالاسناد عن عبيدة السلماني ان عليًا (ع) خطب أهل الكوفة فقال يا أهل الكوفة لولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعدكم الله على لسان نبيه (ص) الذين تقتلونه منهم المخدج — الناقص — اليد وهو صاحب الثدية فوالله لا يقتل منكم عشرة ، ولا يفلت منهم عشرة فاطلبوه فطلبوه فلم يقدروا عليه ، ثم قال اطلبوه ، والله ما كذبت ولا كذبت فطلبوه فوجدوه منكبًا على وجهه في جدول من تلك الجداول ، فأخذوا برجله فجروه فأتوا به امير المؤمنين (ع) فكبر وحمد الله وخر ساجدا ومن معه من المسلمين

والذم لأشخاص أخرى وتخصيص وظيفة النبوة ومنصب الإمامة بإفراد ذكرهم بنعوتهم وميزهم بأوصافهم ليعلم الناس انه لم يحاب في شيء من ذلك، لم يرفع من رفعه إلا باستحقاق ولم يعل منزلة من أعلى منزلته إلا باستيجاب، اقرأ من القرآن قوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (١) وقوله سبحانه «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» (٢) وقوله (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة، وكلا وعد الله الحسنى، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما» (٣) وقوله «لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير» (٤) وقوله «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم» (٥) وقوله «أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون (٦) وقوله «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون» (٧) وقوله «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» (٨) وقوله «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضرا

(١) الحجرات آية ١٣ (٢) الزمر آية ٩ (٣) النساء آية ٩٤ (٤) الحديد آية ١٠
(٥) التوبة آية ٢٠ (٦) يونس آية ٣٥ (٧) الم السجدة آية ٢٤ (٨) التوبة آية ٢٠

وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » وقوله « إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين » وقوله « ولولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » وقوله « وأشهدوا ذوي عدل منكم » إلى غير ذلك من الآيات البينة ، والحجج البالغة ، أرأيت كيف أناط الله الكرامة بالتقوى ؟ وكيف رفع الله الذين يعلمون على الذين لا يعلمون ؟ وكيف فضل الله المجاهدين على القاعدين ؟ وكيف أعظم درجة الذين أنفقوا قبل الفتح وآمنوا على الذين أنفقوا وآمنوا بعده ؟ وكيف انكر على من ساوى بين ساقي الحاج وعامري المسجد الحرام وبين من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله ؟ وكيف حكم للقسم الثاني بأنه أعظم درجة عند الله وانهم هم الفائزون ، وكيف حكم للأعلم الذي يهدي إلى الحق بأحقية الاتباع دون غيره ؟ وكيف جعل الأئمة أئمة لصبرهم وإيقانهم ؟ وكيف أمر باتباع الصادقين ؟ وكيف ميز الصادقين وعرفهم ذلك بأنهم الصابرون في البأساء والضراء وحين البأس ؟ وكيف جعل الإمامة في ذرية ابراهيم لغير الظالمين منهم ؟ وكيف جعل المرجعية في الفتوى وقبول القول في الدين فيمن عرف الفقه ؟ وكيف أناط قبول الشهادة بعدول المسلمين ؟ أرأيت ذلك كله ؟ أرأيت كيف قرب قوماً وأبعد آخرين ؟ وأعلى أشخاصاً وأنزل أشخاصاً أخرى ؟ أرأيت لماذا قرب ولماذا أبعد ؟ ولماذا أعلى ولماذا أنزل ؟ أرأيت أشرف من هذا العدل وأفضل من ذلك الحكم ؟ وأبرد على القلب من هذا البيان ، أرأيت كيف يأخذ بيد الإنسان للمجد ؟ وكيف ينتشله من مهاوي الظلم ومرديات الهوى ؟ ويثير في نفسه الطماحة براكين العزم والحزم لإتيان الأشياء من أبوابها ؟ والسلوك إلى تحصيلها من مظانها ؟ أعرفت من عنى بكثير من هذه الآيات ؟ أعلمت من تفرد بهذه الخصائص وحاز الأكمل من هذه الخلال ؟ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

المطلب الرابع

علي عليه السلام في ايمانه ووزارته

هو علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمه فاطمة بنت اسد بن هاشم ، وهو وليد الكعبة ، وهو أول من آمن ، وهو وزير رسول الله ﷺ ووصيه ، وخليفته في أمته من بعده ، وهو أخوه ، وزوج ابنته ، وأبو سبطيه ، وهو معجزة محمد ﷺ ، بمنزلة العصا لموسى ، والخاتم لسليمان ، وهو فارس حروبه ، وابو مغازيه ، وصاحب لوائه وامير فتوحاته ، وهو باب مدينة علمه ، وأقضى أمته ، وهو أعبدهم لله وأزهدهم في الدنيا ، وأعدلهم في الرعية ، وأقسمهم بالسوية ، وهو عبدالله وأمير المؤمنين قال المتنبي

وتركت مدحي للوصي تعمداً ... إذ كان نوراً مستطيلاً شاملا

وإذا استطال الشيء قام بنفسه ... وصفات نور الشمس تذهب باطلا

ولد علي في الكعبة قيل بعد ثلاثين سنة مضت من مولد رسول الله ﷺ وتولى هو تربيته إلى أن بعث فكان (علي سلام الله عليه أول من آمن به)

قال الحافظ نور الدين علي بن محمد بن احمد المالكي المكي المشهور بابن الصباغ في كتابه فصول المهمة صفحة ١٤—١٧ (ولد علي عليه السلام بمكة المشرفة بداخل البيت الحرام في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر الله الاصم (رجب) الفرد سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة وقيل بخمس وعشرين وقبل المبعث باثنتي عشرة سنة ، وقيل بعشر سنين ، ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه ، وهي فضيلة خصه الله بها ، اجلالاً له ، واعلاء لمرتبته ، وإظهاراً لتكرمته ، وكان على هاشمياً من هاشميين وأول من ولده هاشم مرتين) انتهى

وقال رباه النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم وازلفه وهداه إلى مكارم الاخلاق والفقه ، وكان رسول الله (ص) قبل بدو أمره إذا أراد الصلاة خرج إلى شعاب مكة مستخفياً وأخرج علياً معه فيصليان ما شاء الله ، فإذا قضيا رجعا إلى مكانهما

وقال محمد بن ابي طلحة الشافعي في كتابه (مطالب السؤول) بعد ذلك فمكثا (يعني محمداً وعلياً عليهما السلام) كذلك يصليان على استخفاء من أبي طالب وسائر عمومتها وقومها ، ثم أن أبا طالب عبر عليهما وهما يصليان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هذا الذي أراك تدين به ، قال يا عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا ابراهيم بعثني الله به نبياً إلى العباد ، وأنت يا عم أحق من بدأت له النصيحة ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجابني اليه ، وأعانني عليه ، وقال له علي يا أبت قد آمنت برسول الله واتبعته وصليت معه لله ، فقال له يا بني أما انه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه[1] انتهى

قال المالكي وكان عمره إذ ذاك في السنة الثالثة عشرة لم يبلغ الحلم وقيل غير ذلك واكثر الأقوال وأشهرها انه لم يبلغ الحلم وانه أول من أسلم وآمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الذكور بعد خديجة قاله الثعلبي في تفسير قوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) وهو قول ابن عباس وجابر بن عبد الله الأنصاري وزيد بن أرقم ومحمد بن المنكدر وربيعة الرأي ، وأقول بل هو المجمع عليه بين المسلمين إلا من شذ

فإن قلت ليس في إيمان علي سلام الله عليه وقد آمن صغيراً — تلك الفضيلة ، فإن الصغير يكون بطبعه تابعاً لكفيله ومربيه ، فإيمان كهذا — لا يكون عن علم ومعرفة — غير حقيق بالفضل ولا جدير بالتعظيم

(قلت) اسمع وافهم ان إيمان علي اجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) واخرج هذا الحديث الطبري في ص ٢١٣ من الجزء الثاني من تاريخه

ورسول الله لم يدعه إلا وقد أمره الله بذلك إذ أنه لا ينطق عن الهوى صحيح ومقبول قطعاً ، وإذا كان كذلك وهو الحق الذي لا ريب فيه دل على ان علياً عليه السلام له من العقل في صغره الذي صح معه التكليف ما ليس لغيره ، ومن المكانة والمنزلة عند الله ما ليس لسواه ، فإذاً لقد ضارع علي عليه السلام في هذه يحيي بن زكريا اذ أتاه الحكم صبيا ، وعيسى بن مريم اذ كلم الناس في المهد ، فما يغضبك من ذلك؟ وما تكره منه ؟ وهل يجوز لعاقل أن يبغض الحق ؟ أو يحسد الناس على ما آتاهم من فضل؟ وما يمنعك من أن ينشرح لذلك صدرك وتقر به عينك ، ويبرد بفضل ابي السبطين قلبك ألم يعلن التصديق بنبيك صلى الله عليه وآله إذ كذبه الناس ، وينصره إذ خذلوه ، ولقد كان معه لما أتاه الملأ من قريش فقالوا له يا محمد انك قد ادعيت عظيما لم يدعه آباؤك ولا أحد من بيتك ، ونحن نسألك أمراً إن أنت أجبتنا اليه وأريتناه علمنا انك نبي ورسول ، وان لم تفعل علمنا انك ساحر كذاب ، فقال صلى الله عليه وآله وما تسألون؟ قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك ، فقال (ص) ان الله على كل شيء قدير ، فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق ؟ قالوا نعم ، قال فإني سأريكم ما تطلبون ، واني لأعلم انكم لا تفيئون الى خير ، وان فيكم من يطرح في القليب ومن يحزب الأحزاب ، ثم قال صلى الله عليه وآله يا أيتها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين اني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بإذن الله ، والذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها ، وجاءت ولها دوي شديد وقصف كقصف أجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفة وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله (ص) وبعض أغصانها على منكبه (ع) وكان عن يمينه (ص) فلما نظر القوم الى ذلك قالوا علواً واستكباراً فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها ، فأمرها بذلك ، فأقبل اليه نصفها كأعجب إقبال وأشده دويا ، فكادت

تلتف برسول الله(ص) ، فقالوا كفراً وعتواً فمر هذا فليرجع الى نصفه كما كان،فأمره (ص) فرجع ، فقال علي سلام الله عليه (لا إله إلا الله، اني أول مؤمن بك يا رسول الله ، وأول من أقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوتك واجلالا لكلمتك ، فقال القوم كلهم بل ساحر كذاب ، عجيب السحر خفيف فيه ، وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا (يعنونه) قال سلام الله عليه واني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم ، سيماهم سيما الصديقين ، وكلامهم كلام الأبرار ، عمّار الليل ومنار النهار ، متمسكون بحبل القرآن ، يحيون سنن الله وسنن رسوله لا يستكبرون ، ولا يعلون ، ولا يغلون ولا يفسدون قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل

﴿ علي والوزارة ﴾

أرأيت عاقلاً حكيما ينهض لأمر كأمر رسول الله ﷺ أو دونه لا يتخذله فيه وزيراً ؟ ولا يبتغي له عليه معاضداً ؟ هذا لا يكون من عاقل أبداً ، إذاً من اتخذ رسول الله (ص) وزيراً ؟ ومن ابتغى أن يكون له عونا في امره ونصيراً ؟قلت اذا قيض الله للمرء أقرب الناس منه ، وأخلصهم وأحبهم له ، وأشدهم وأقواهم في أمره أترى انه يعدوه ؟ أو يتجاوزه الى من سواه ؟ وهل جمع هذه الصفات وتفرد بهذه الخصائص غير علي سلام الله عليه ثم أما سمعت كيف أثبت له الوزارة حيث قال له انك تسمع ما اسمع ، وترى ما أرى الا انك لست بنبي ولكنك لوزير ، والله تعالى يريد من رسوله (ص) اثبات الوزارة لعلي (ع) بصورة او كد من هذه

والذي نفهم من ذلك ان الوزارة في حياته (ص) وما يترتب عليها من الخلافة والإمامة بعد وفاته ذات شأن عظيم في الإسلام

والذي يدل عليه التشديد على النبي (ص) بلزوم التبليغ والنهوض لعقد الوزارة وما يتبعها من الخلافة والوصية حينما أنزل عليه (وأنذر عشيرتك الأقربين) ان لها من

الأهمية ما للتوحيد والنبوة من اصول الاسلام

ومثله في ذلك ، التشديد عليه بقوله في حجة الوداع وقد قارب غدير خ
(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله
يعصمك من الناس)

وها اني ابرز لك كلمات النبي (ص) وما قاله عند ارادة عقدهذه الوزارة في مبتد
الدعوة وأول امر النهضة لتفكر في ذلك

اخرج ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في صفحة ٢١٦ من الجزء الثاني من كتا
بالاسناد الى عبد الله بن عباس عن علي عليه السلام قال لما نزلت هذه الآية على رسول
الله (ص) (وأنذر عشيرتك الأقربين)

دعاني رسول الله (ص) فقال لي يا علي ان الله امرني ان انذر عشيرتي الأقربين
فضقت بذلك ذرعاً ، وعرفت اني متى أباديهم بهذا الأمر ارى منهم ما اكره فصمت
عليه حتى جاءني جبريل فقال يا محمد انك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك ، فاصنع
لنا صاعاً من طعام ، واجعل عليه رجل شاة ، واملأ لنا عساً[1] من لبن ، ثم اجمع لي بني
عبد المطلب حتى اكلمهم وابلغهم ما أمرت به (قال علي «ع») ففعلت ما امرني به ،
دعوتهم له ، وهم يومئذ اربعون رجلاً يزيدون رجلاً او ينقصونه ، فيهم اعمامه ، ابو
طالب وحمزة والعباس وابو لهب

فلما اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به ، فلما وضعته تناول
رسول الله (ص) حذية[2] من اللحم فشقها بأسنانه ثم القاها في نواحي الصحفة[3] ثم قال
خذوا بسم الله ، فأكل القوم حتى مالهم بشيء من حاجة ، ولا ارى الا موضع ايديهم
وايم الله الذي نفس علي بيده ، وان كان الرجل الواحد منهم ليأكل ماقدمت لجميعهم

(١) العس القدح او الاناء الكبير «المنجد» (٢) الحذية القطعة (٣) الصحفة قطعة
كبيرة منبسطة جمعها صحاف «المنجد»

ثم قال اسق القوم ، فجئتهم بذلك العس ، فشربوا منه حتى رووا جميعاً ، وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ، فلما اراد رسول الله (ص) ان يكلمهم بدره ابو لهب الى الكلام ، فقال لقدماً سحركم صاحبكم

فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله (ص) فقال الغد يا علي ان هذا الرجل سبقني الى ما قد سمعت من القول ، فتفرق القوم قبل ان اكلمهم ، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم الي

قال ففعلت ثم جمعتهم ، ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى مالهم بشيء حاجة ، ثم قال اسقهم فجئتهم بذلك العس ، فشربوا حتى رووا منه جميعاً

ثم تكلم رسول الله (ص) فقال : يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به ، اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم اليه ، فأيكم يوازرني على هذا الأمر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم

(قال) فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت واني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً (١) واعظمهم بطناً ، واحمشهم ساقاً (٢) انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه

فأخذ برقبتي وقال ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا (٣) قال فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبي طالب قد أمرك بأن تسمع لابنك وتطيع أرأيت هذا الرفق بالتبليغ ؟ أرأيت كيف أثبتها لعلي عليه السلام ؟ أرأيت كيف أمره أن يدعو له بني هاشم فلما اجتمعوا دعاهم لموازرته

---

(١) الرمص وسخ ابيض في مجرى الدمع من العين . المنجد (٢) اي ادقهم

(٣) وروى مضمونه احمد بن حنبل بسنده عن عبادين عبد الله عن علي (ع) ورواه الثعلبي عند ذكر هذه الآية من تفسيره

وجعل لمن وازره ان يكون وصيه وخليفته في امته من بعده ، فلما أحجمو
(وكان عالماً بأنهم يحجموا) وتقدم لها علي قلدها لعلي مثبتاً له الوزارة في حياته والوصا
والخلافة بعد وفاته ؟ (فإن قلت) إذا علم الرسول (ص) من بني هاشم انهم يحجمو
عن هذا الأمر ولا يتقدمون اليه لماذا عرضه عليهم ؟

(قلت) فيه حكمة بالغة وسر نفيس لا يعدوه الحكيم ، وهو انه مما لا يشك ف
ان الوزارة امر له ما بعده من الشرف ، وجلال القدر وعلو المنزلة ، والكرامة الـ
لا فوقها في الدين والدنيا ، وكذلك الوصاية والخلافة ، وان علياً (ع) سينازع ويخاص
عليها ، وان لقائل ان يقول ان الرسول (ص) حابى ابن عمه بذلك ، فإذا اورده على ه
الوجه بعد عرضه على القوم فأبوا واحجموا ، واقدم علي ، وإن في الاقدام على امر تها
الجبال ، وتندك لهوله الراسيات شرفاً لا يضاهيه شرف ، وبسالة لا يشاكلها بسالة
أقدم على قتال العرب ومعاداة الأبيض والأسود ، فمن الذي بعد هذا يتهم النبي ﷺ
في اتخاذ علي وزيراً ووصياً وخليفة ، وكيف لا يتخذه ؟ وهل وجد غيره ؟ وكيف
لا يقبله ؟ وهل وجد أكفى منه ؟ وهل اقدم على هذا الأمر وفيه ماتنوء بحمله العر
غيره ؟ وكثيرا ما كان يفعل ذلك رسول الله ﷺ وهذا بمكانة من الرفق في التبلي
وحسن التدبير ببيان اقدار الرجال — ألا ترى كيف نادى يوم الأحزاب بالمسلم
(من لعمرو وله على الله الجنة) وهم يحجمون ، وعلي يقوم ، فيقول أنا يا رسول الله
ثم يكررها ، وعلي يعيد القول ، حتى دعاه وقدمه ، أليس غرض رسول الله من ذل
اظهار فضل علي وبيان انه لا يقوم مقامه أحد ؟ اضف إلى ذلك انه قطع بهذا ألسنة القائل
لو دعانا رسول الله لأجبناه ، وقد كان رسول الله (ص) قادراً ان يقول لعلي (ع) قم اليه فاقتل
لكنه لو قال ذلك لقالوا قدم ابن عمه ، ولو قدمنا لفعلنا فعله ، وقريب من ذلك ما صنع
يوم خيبر يوم اعطى الراية لرجال رجعوا بها منهزمين ، فلما انكشف للمسلمين وعرف

أنفسهم انهم عاجزون عن القيام بما يقوم به علي (ع) قال لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فلما أصبح دعا علياً واعطاه الراية ، فاقتلع باب الحصن وفتح الله على يديه ، و كذلك يوم براءة ، يوم اعطى ابا بكر (رض) سورة براءة ليبلغها للمشركين في مكة ، حتى إذا صار ابو بكر في أثناء الطريق هبط عليه جبرائيل ، يقول له عن الله ، انه لا يؤدي عنك إلا أنت ، او رجل منك ، ادع علياً فدعاه ، وامره بلحاق ابي بكر وأخذ سورة براءة منه وتبليغها ، إلى غير ذلك من القضايا التي كانت الحكمة فيها للمتأمل المنصف بينة ظاهرة ، فإن في جميع هذه الموارد لو قدم علياً عليه السلام من أول الأمر لاتهموا النبي ﷺ ، ولقالوا فيه انه حابى ابن عمه ، وثالثة انه لا يظهر لعلي سلام الله عليه ذلك الشرف الذي ظهر له على هذا الوجه ، فلا جرم كان تركه بخساً لحق علي (ع) ، والله تعالى يقول (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) فكيف يبخس رسول الله ﷺ حق علي وهو المخلص له ، والمضحي بنفسه و كل ما تملك يمينه بين يديه ، وفي سبيل إظهار دعوته ، لا يكون ذلك من رسول الله ﷺ أبداً ، أليس هو أوفى الخلق وأولاهم بتقدير ذوي الأقدار ؟ (ولعلك تقول) قد علمنا ان رسول الله ﷺ استوزر علياً ، وان علياً (ع) لإخلاصه و كفاءته كان اهلا لهذا المنصب ، وان رسول الله (ص) ولاه إياه على صورة لم يكن فيها محابياً ، بل كان ذلك بأمر من الله أمره به فامتثل

إلا انا نريد ان نعلم ونعرف بصورة جلية واضحة ان علياً عليه السلام قام بهذه الوزارة واعطاها حقها و كان رسول الله (ص) راضياً منه بها

(فأقول) وقبل أن أتقدم اليك بالجواب اسألك مسألة فأجبني عليها ، أترى ان الله تعالى إذا وضع شيئاً ، أو رتب أمراً ، أو ولى منصباً ، أو انتخب نبياً أو إماماً ، أترى انه يجوز ان يضعه بغير محله ؟ أو يرتبه على غير وجهه ؟ او يولي من ليس له أهلية ؟

او ينتخب من لا يصلح للنبوة او الامامة ؟ أيجوز ذلك على الله ؟ لا تقدر أن تقول يجوز على الله ذلك ، بل لا بد لك ان تقول إن رسول الله (ص) وضع الوزارة بمحلها وأعطاها للقمين[1] بها ، القادر على إدارتها ، وانه قام بها احسن قيام ، إذن هذا السؤال ساقط وعلي عليه السلام قام بالأمر على ما يحب ويرضى رسول الله (ص) والوصاية والخلافة حق من حقوقه

ثم اني لا احرمك من الجواب التفصيلي ، ولعلك تريد ان ينشرح صدرك بأفعال ابي الحسن وجهاده ، وذكر موازرته لرسول الله (ص) ومعاضدته له في حروبه ومغازيه ومناصرته له في اقواله وأفعاله وانك تريد ان تزداد ببيان مواقفه التي كانت بجميع وجوهها وفي جميع احوالها آية بالغة ومعجزة باهرة و كثير منها يتضاءل بجنبها معجزات الأولين ويصغر عندها آياتهم

« فأقول » وأقدم لك قبل الشروع أن وضع الكتاب وما التزمنا فيه من الاختصار يقضي علينا ان نذكر هذه المطالب اجمالا ونطويها لك طياً ونرسلها لكونها من الأمور المسلمة عند المؤرخين ارسالا فاسمع

اعلم ان كل قول من أقوال النبي (ص) وكل فعل من افعاله كان له أثره في الدعوة إلى الله وثمرته في اعزاز الإسلام وتقديمه في العالم

الا ان هناك امور هي بمنزلة الأركان والاعمدة في بناء الدعوة للإسلام ورفع كيانه ونشر لوائه خافقاً على رؤوس المسلمين يمكن ان نبينها إجمالاً

الاول ﴿ الهجرة إلى المدينة ﴾

والمدينة جامعة الإسلام وقاعدة اهله التي قامت عليها عروشه ومركز النبوة ومقر الرسول ، منها كان انتشاز نور الرسالة ومن أفقها طالع الناس نورها وإنما تمكن النبي

---

(١) القمين : الحقيق

(ص) من الهجرة وتمت له — ولا يتم الشيء إلا بأسبابه ومعداته — بموازرة علي (ع) له وتفانيه في سبيل نصرته . اسمع (وإنما يسمع ذو اللب ويعقل طالب الهدى) ان رسول الله (ص) كان يدعى في مكة الصادق الأمين فكانت قريش وغيرها من العرب تضع عنده أماناتها وهل يمكن وهو الأمين أن يضيع أمانات الناس ويستخف بودائعهم؟ ثم هو الغيور فلا احد اغير منه وعنده من النساء من هي بمنزلة امه فاطمة بنت اسد ومن هي اعز النساء عليه واحبهن اليه ابنته وبضعته فاطمة الزهراء وغيرهما من بنات عمومته اللاجئين اليه وهن بمنزلة بناته

وكيف به هو (ص) وقد أراد الخروج وقريش قد ائتمرت على قتله واحاطت بداره، تريد الفتك به في ليلته، فماذا يصنع رسول الله ﷺ وما السبيل إلى الخلاص من هذه الشدائد؟ ومن الذي يفادي بنفسه فينام على فراشه (ص) حتى يخرج هو من بينهم؟ أمور كلها صعاب

من الذي يقدم على مغاضبة قريش وهو عندها، ويمنع عدوها منها وهو بين ظهرانيها؟ ثم كيف يتمكن مضافاً إلى هذا من حفظ الودائع من جبابرة قريش حتى يؤديها إلى أهلها، ثم الخروج بنسائه رغماً على آنافهم

من يجد رسول الله (ص) لذلك؟ ومن لها غير أبي الحسن علي بن ابي طالب؟

لقد بات على فراشه يقيه كيد عدوه بنفسه حتى خرج وهم ينظرون إلى علي يخالونه محمداً حتى نجا منهم، وأقبل من الغد على الودائع فأداها إلى أهلها، ثم خرج بالفواطم ملتحقاً برسول الله (ص) وقد لحقه الطلب من قريش، فرجع اليهم يريهم من بأسه وقوته ما أرجعهم عنه منهزمين، وادرك رسول الله (ص) بعد ثلاثة أيام من نزوله على بني عوف

كيف رأيت؟ أرأيت علياً قام بالوزارة في هذه؟ واعطاها حقها؟ وأرضى الله

ورسوله في ذلك وأقام ركنا من أركان الإسلام أم لا ؟

الثاني ﴿ غزوة بدر ﴾

وما أدراك ما غزوة بدر ، غزوة أعزت الإسلام وأهله ، وأذلت الشرك وأئمته يقرئنا التاريخ من هذه الغزوة أموراً : الأول ان الفئة التي كانت مع رسول الله (ص) بين الثلاثمائة والثلاثة عشر رجلاً إلى الثمانية عشر ، والمشركون بين التسعمائة إلى الألف .

الثاني : ان اصحاب رسول الله (ص) جلهم عزل لا سلاح معهم وإنما سلاحهم الجريد ، والمشركون فيهم ثلاثمائة دارع وكلهم ملتثمون ، أي عليهم لامة الحرب

الثالث : انه ليس مع رسول الله (ص) من المشاهير سوى الحمزة والمقداد اما علي عليه السلام فتلك أول حروبه والمشركون فيهم نوفل بن خويلد وكان بطلا هولاتهابه الأبطال ، وفيهم عتبة وابنه الوليد ، وعمرو بن عبدود وابو جهل وطعيمة بن عدي والعاص بن سعيد الذي كان يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه ، إلى غيرهؤلاء من صناديد العرب وعتاتها

الرابع : ان الوقعة إنما دامت بعض يوم

الخامس : ان الذين قتلوا من المشركين نحو من سبعين ، وأسر مثلهم ، وانهزم الباقون ، وان الذين قتلوا من المسلمين نحو من ١٤ رجلا

السادس : ان نصف القتلى من المشركين كان بسيف علي (ع) ، وهذا ابن ابي الحديد في شرح النهج يعدهم لك واحداً واحداً ، فما ترى ؟ وما يكذبك بهذا ؟ ألم ينقل وصي سليمان عرش بلقيس من اليمن اليه قبل أن يرتد من سليمان اليه طرفه ، ومحمد أفضل من سليمان ووصيه اكرم على الله من وصيه ، فعلى مَ تستبعد ذلك ، ولقد أنزل الله في حق علي (ع) وحمزة وعبيدة المبارزين يوم بدر ما مر بك ذكره

وغرضنا من هذا ان نبرهن على قيام علي (ع) بالوزارة وإعطائها حقها وان الله ورسوله كانا عنه في ذلك راضيان

الثالث ﴿ غزوة أحد ﴾

وهي الغزوة التي نهض لها المشركون يريدون أن يأخذوا بثأرهم من

محمد صلى الله عليه وآله وسلم

والذي يقرئنا التاريخ منها ان المشركين كانوا نحو من ثلاثة آلاف ، وان لواءهم كان بيد بني عبد الدار كما هي عادتهم ، وكبشهم طلحة بن ابي طلحة بيده اللواء ، وان المسلمين كانوا نحو من الف ، وان

عليًا عليه السلام

قتل اصحاب الألوية من بني عبد الدار ، ثمانية ، تاسعهم عبدلهم يقال له صواب ، حتى وقع لواؤهم ، وكانت هزيمتهم ، ثم التفوا على المسلمين بعد أن أخذ المسلمون بالكسب والنهب وعصوا رسول الله (ص) فانهزموا ، وتفرقوا عن النبي وأسلموه (إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم) وثبت علي (ع) يكشف الكتائب عن الرسول (ص) وقد جرح وكسرت رباعيته حتى ردهم عنه وقد اثخن هو عليه السلام بالجراح ، وهبط جبريل يقول في حق علي انها لهي المواساة يا رسول الله ، فقال انه مني وأنا منه ، وقال يومئذ

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

أرأيت فتى كعلي يلقى الألوف من الناس فيردها قسراً على اعقابها لم تظفر ببغيتها من رسول الله (ص) عدوها ؟ أرأيت كيف قام بالوزارة ؟ أرأيت كيف اعطى في نصرة الله السيف حقه ؟ أرأيت كيف كان ابتهاج النبي (ص) واعجاب جبريل به ؟

الرابع من اركان بناء الإسلام

﴿ غزوة الخندق او يوم الأحزاب ﴾

يوم (جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً)

أقبلت قريش بحلفائها وأحابيشها نحو من عشرة آلاف والمسلمون يومئذ نحو من ثلاثة آلاف وقدخندقوا عليهم واقبل عمرو بن عبد ود فارس العرب وقائد قريش في تلك الوقعة فأقحم فرسه هو وأربعة من فرسان قريش معه حتى صاروا هم والمسلمون على صعيد واحد ينادي

ولقد بححت من الندا ... ء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المش ... جع موقف الليث المناجز

ورسول الله (ص) يقول (من لعمرو وله على الله الجنة) والمسلمون كأنما على رؤوسهم الطير إلا علي يقول «أنا له يا رسول الله» فدفعه اليه قائلاً «برز الإيمان كله إلى الشرك كله» فالمسلمون بذلك الخوف، وتلك الظنون، وإذا بعلي يقدم اقدام الليث أو كما قال الأزري فيه

وإذا هم بفارس قرشي ... ترجف الأرض خيفة إذ يطاها
قائلاً ما لها سوايَ كفيل ... هذه ذمة علي وفاها

عمرو فارس العرب وأربعة من أبطال قريش إلى جانبه ووراؤهم عشرة آلاف وعلي سلام الله عليه وحده والمسلمون خلفه على ما سمعت من وصف الله لهم، فهل رأيت أجرأ مقدماً واشجع قلباً وأربط جأشاً وأصعب موقفاً من هذا الموقف، اقدم علي يرى ابن عبدود من نفسه فتى قتال أقران وغلاب شجعان، والبطل ابن عبدود عرف ذلك من

ابن ابي طالب

فأراد أن يخدعه وهيهات بعلي أن يخدع تجادلا قليلاً ثم انكشفت الغبرة ورأس البطل عمرو بيد علي مقبلاً إلى رسول الله (ص) بعد أن طارد أصحابه فألجأهم إلى الهزيمة وقتل أحدهم وقد كبا به فرسه بالخندق فانكسرت بذلك شوكتهم وكفى الله المؤمنين القتال بعلي

وكان الله قويا عزيزاً . وأخذ الجائزة من رسول الله (ص)

« ضربة علي يوم الخندق تعدل عمل الثقلين »

الركن الخامس ﴿ يوم حنين ﴾

إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين

يوم أقبلت جموع هوازن بعدتها وعديدها تريد الفتك برسول الله وقد تم له فتح مكة فلما علم ذلك أقبل بجيشه اللجب اثني عشر الفاً يقول قائلهم لن نغلب اليوم من قلة ولما التقى الجمعان ولى المسلمون مدبرين كما سمعت وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والمؤمنون يومئذ الذين ثبتوا تسعة ثمانية من بني هاشم وايمن بن ام ايمن أحاطوا ببغلة رسول الله (ص) وعلي يضرب بالسيف لا يرون منه إلا بريقه حتى قتل ابا جرول فارس القوم وصاحب لوائهم وتراجع المسلمون وكان الفتح

الركن السادس ﴿ يوم خيبر ﴾

يوم اعطى رسول الله (ص) الراية لبعض اصحابه وكان علي (ع) ارمد فرجع الصحابي بالراية منهزما فأعطاها لآخر ففعل مثل فعل الأول فقال «ص» لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه فبات المسلمون يخوضون أيهم يعطاها فلما أصبحوا غدوا على رسول الله «ص» فقال اين علي قيل أرمد قال ادعوه لي

فأتاه الوصي أرمد عين فسقاها من ريقه فشفاها

ثم اعطاه الراية فأقبل بها «علي» مهرولا[1] لم يرجع حتى قتل بطل اليهود واليهود يومئذ في عزة بمكانتهم من الجزيرة يبتغون الوقيعة برسول الله «ص» وارجاعه القهقرى عن قصده فقضى عليهم علي

وتقدم إلى حصنهم «القموص» وقد امتنعوا به وان بابه من حجر ضخم قد أحكم من اعلاه وأسفله فلا يستطاع تحريكه فأخذه علي بثقب كان في وسطه ثم اقتلعه وتترس به حتى إذا وصل المسلمون جعله لهم جسراً ووصله بيده حتى عبروا عليه

فهل أعجبك هذا ؟ وما الذي تنكره منه ؟ وقد صنع الله تعالى على ايدي انبيائه وأوصياء انبيائه ما يشاكل هذا من خوارق العادات فلم تستعظمه وتقول ان الله على كل شيء قدير فما بالك تستعظمه على وصي رسول الله (ص) وتنكر قدرة الله تعالى فيه ؟ وهل يستطاع انكار الشمس ؟ ان هذا مثل الشمس وضوحاً وجلاء وهذا باب خيبر موجود إلى الآن يحدثنا الرائون عنه ويخبروننا ان في اقتلاعه من محله وقد احكم اعلاه واسفله بالأحجار الضخمة التي لا يستطاع تحريكها اعجب من حمله

أرأيت كيف وازر علي رسول الله (ص) أرأيت كيف نهض أبو الحسن بأمور عجز عنها غيره أرأيت كيف كان فيها عز الإسلام وظهوره وهكذا كان رسول الله عليه مدة حياته كلها ، أوقد المشركون للحرب ناراً دفع ابن عمه ووزيره علياً في لهواتها فلا ينكفأ حتى يطأ صماخها بأخمصه

السابع من الأركان التي قام عليها بناء الإسلام

* مقام علي (ع) بالمدينة حيث مضى النبي (ص) عنها في غزوة تبوك *

وذلك ان هذه الغزوة لم تكن كغيرها من الغزوات ، فإن جميع مغازي النبي (ص)

---

(١) ذكر هذا الحديث البخاري في باب غزوة خيبر ومسلم في باب فضائل علي من صحيحيهما فراجع

كانت وقائع مع الطوائف ، وهذه أريد بها القتال مع الروم ذات الملك والسلطان « ومن هنا تخلف عن النبي «ص» في هذه الغزوة من لم يتخلف عنه في غيرها » هذا مضافاً لما فيها من طول السفر وبعد المسافة ، فمن هذا وذاك كان الخطر محدقاً بالمدينة من الاعراب لو تركها رسول الله (ص) ، والمدينة عاصمة الإسلام ، والإسلام بعد فرخ في عشه ، فإذا تهدم العش ذهبت الفراخ ، لذلك لما عزم النبي «ص» على المسير إلى تبوك ، هبط عليه جبريل يقول له عن الله

« إن المدينة لا تصلح إلا بك أو بابن عمك »

فاستخلفه رسول الله (ص) يومئذ على المدينة ، وعلي ذاك الهمام المنجد والمحامي الكمي ، والمجاهد المتفاني ، فهل يدع رسول الله (ص) والمسلمين يمضون إلى الجهاد ويبقى هو في المدينة مع النساء والصبيان ذلك لا يكون من مثل علي (ع) ومن هنا تسمعه يقبل إلى النبي (ص) فيقول له

أتخلفني مع النساء والصبيان يا رسول الله فقال «ص» أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي[1]

فأثبت له بهذه الكلمة ما كان ثابتاً لهرون من موسى ، ولقد كان هرون وزير موسى وخليفته ، وشريكه في نبوته ، ولما استثنى النبوة بقي ثابتاً ما عداها

ولقد تم بهذا البيان ان علياً «ع» قام بوزارته لرسول الله «ص» أحسن قيام ، وكان الله ورسوله راضيان عنه أتم الرضاء ، وسنوضح لك في الفصول الآتية ما اوتي علي «ع» من الفضل والكرامة في شيعته والإمامة والخلافة له وللأئمة المعصومين من ذريته

(١) تجد هذا الحديث في باب غزوة تبوك من صحيح البخاري

المطلب الخامس

الشيعة

كثيراً ما يقع الاشتباه في مفهوم هذا اللفظ ومعناه تارة ، وفي مصداقه والموضوع المنطبق عليه اللفظ والفرقة الصادق عليها ذلك المعنى تارة أخرى

ولا أظن برجل يسمع الأحاديث المستفيضة في بيان نجاة الشيعة[1] والتبشير لهم بالجنة[2] وانهم يقدمون على الله راضين مرضيين[3] وانهم خير

---

(١) كالذي يرويه الزمخشري في كتابه (ربيع الأبرار) عن النبي (ص) انه قال يا علي إذا كان يوم القيامة اخذت بحجزة الله ، وانت أخذت بحجزتي ، واخذ ولدك بحجزتك ، وأخذت شيعة ولدك بحجزهم ، فترى أين يؤمر بنا ؟ الحجزة هي مقعد الازار ، وتطلق على الازار نفسه للمجاورة ، وهو كناية عن القرب المعنوي ، فإنه ليس لله سبحانه حجزة ، فالمقصود من الحديث ان محمدا (ص) يكون من الله تعالى بحيث لا يكون أقرب منه ، ثم يكون علي «ع» منه كذلك ، ثم تكون الأئمة من ولد علي من علي كذلك ثم تكون الشيعة من الأئمة كذلك ، بحيث لا ينفصل بعض عن بعض فيؤمر بهم حيث يؤمر بمحمد (ص)

(٢) كالذي أخرجه احمد في المناقب كما في الصواعق المحرقة بعد الآية العاشرة من الآيات التي أوردها في فضل أهل البيت (ع) وهي قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) انه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي أما ترضى انك معي في الجنة والحسن والحسين وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا . وكالذي اخرجه الطبراني (كما في الصواعق ايضاً) انه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي (ع) (ان اول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا . وكالذي اخرج الدارقطني (كما في الصواعق) « يا أبا الحسن اما انك وشيعتك في الجنة وفي آخر (يا علي انك واصحابك في الجنة ، انك وشيعتك في الجنة »

(٣) كالذي أخرجه الطبراني عن علي عليه السلام كما في الصواعق عقيب الآية الثامنة من التي أوردها في فضائل أهل البيت (ع) « واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » ان خليلي رسول الله (ص) قال (يا علي انك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليه عدوك غضابى مقمحين) ثم جمع يده إلى عنقه يريهم الإقماح وذكر هذا الحديث ابن الأثير في النهاية عن علي (ع) في مادة (قمح) واخرجه الحافظ جمال الدين الزرندي (كما في الصواعق أيضاً) عن ابن عباس ان هذه الآية لما نزلت قال (ص) لعلي (ع) هو انت وشيعتك تأتي انت وشيعتك . الحديث الخ

البرية[1] وانهم هم الفائزون يوم القيامة[2] وانهم هم الغر المحجلون[3] إلا وينتحل ذلك لنفسه ، ويدعي انطباق هذا الاسم عليه دون غيره

ولكن هذا امر لا يأتي بالدعوى ، ولا يتحقق بانتحال الاسم ، فالمدار على المسميات لا على الأسماء والنظر إنما هو للمعاني لا للألفاظ ، وما الاسماء والألفاظ إلا رموز واشارات استعملت للحكاية عن المعنى والدلالة عليه في مقام التفاهم

انما هي حقائق ، اعتقادات وأعمال ، من وجدت فيه صح اطلاق اللفظ عليه ، وترتبت له هذه الآثار ، وكان عند الله بالمنزلة التي وصفها رسوله ﷺ ومن لم توجد فيه لا يناله شيء منها مهما ادعى ومهما تأول

ألا ترى أن كثيراً من الناس انتحلوا الإيمان ، وادعوه لأنفسهم ، ولما لم تكن حقيقته موجودة فيهم كذبهم الله تعالى

« قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في

---

(١) كما روى الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس (كما في صفحة ٩٦ من الصواعق المحرقة لابن حجر المطبوعة بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢٤ انه قال لما انزل الله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ابداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي هم انت وشيعتك الحديث

(٢) كما ذكر السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) عند ذكر قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية) قال اخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي (ص) فأقبل علي (ع) فقال النبي (ص) (والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة) ونزلت (ان الذين آمنوا) الآية

(٣) كما في الدر المنثور ايضا عند ذكر الآية المتقدم ذكرها قال اخرج ابن مردويه عن علي (ع) قال . قال رسول الله صلى الله عليه وآله « ألم تسمع قول الله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) انت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب ، تدعون غداً غراً محجلين) أي تلمع جباهكم وايديكم وأرجلكم نوراً

قلوبكم) سورة الحجرات آية ١٤

إذن اللازم ان نبحث في بيان المعنى الذي يكون به الإنسان شيعياً ، ثم في بيان الأفراد الذين كان هذا المعنى ظاهرا فيهم وهم مصاديقه دون غيرهم فهنا بحثان

﴿ الأول ﴾ لا ريب ان المرجع في معرفة حقائق الألفاظ واستكشاف معانيها الموضوعة لها نصوص أئمة اللغة مرة ، وتبادر المعنى إلى الذهن عند اطلاق اللفظ مرة أخرى

أترى في ذلك شبهة أيختلجك في هذا شك ألسنا عند التنازع في معاني بعض الألفاظ نرجع إلى كتب اللغة فيكون ما يقولونه مقنعاً لنا أليس إذا كان المعنى معلوماً إجمالاً كانت حجتنا أن هذا المعنى هو الذي نفهمه من هذا اللفظ عند إطلاقه فينقطع الخصم ، ويبطل الجدال

إذا عرفت هذا فاسمع ما نتلوه عليك من نصوص أهل اللغة ، قال في القاموس : وشيعة الرجل بالكسر اتباعه وانصاره ، والفرقة على حدة وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً واهل بيته حتى صار إسماً لهم خاصاً .

وفي تاج العروس في شرح هذا الكلام فإذا قيل فلان من الشيعة عرف انه منهم وفي مذهب الشيعة كذا اي عندهم ونقل عن الأزهري قوله (الشيعة قوم يهوون عترة النبي ﷺ ويوالونهم)

وقال ابن الأثير في النهاية « واصل الشيعة الفرقة من الناس » قال « وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم انه يتولى علياً رضي الله عنه واهل بيته حتى صار لهم اسماً خاصاً فإذا قيل فلان من الشيعة عرف انه منهم وفي مذهب الشيعة كذا اي عندهم »

وقال السيوطي في تلخيص النهاية « الشيعة الفرقة من الناس وقد غلب على كل من يتولى علياً »

وقال في لسان العرب « وأصل الشيعة الفرقة من الناس » قال « وقد غلب هذا

الإسم على من يتولى علياً وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين حتى صار اسما لهم خاصاً فإذا قيل فلان من الشيعة عرف انه منهم وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم » وقال ابن خلدون في مقدمته المطبوعة بمصر بالمطبعة البهية ص ١٣٨ « اعلم ان الشيعة لغةً هم الصحب والأتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف عَلَى اتباع علي وبنيه رضي الله عنهم »

هذه جمل من كلمات اهل اللغة اشتملت على كلا المعنيين الأول النص على ان المعنى الموضوع له هذا اللفظ ولو بالوضع التعيني هم الموالون لعلي وأهل بيته والثاني ان هذا المعنى صار هو المتبادر من لفظ الشيعة عند اطلاقه

ومثله في ذلك مثل لفظ الصلاة فإنها في اللغة لمطلق الدعاء ثم اشتهرت في الإسلام عند الفقهاء والمتشرعين بذات الركعات المخصوصة حتى صار لفظ الصلاة حقيقة في هذا المعنى

ومنه تعلم خطأ من اطلق هذا الاسم على من اله علياً او تولى غيره أو غير الأئمة من أهل بيته (ع) ولست أدري ما غرض الشهرستاني في الملل والنحل حتى الصق في الشيعة فرقاً ليس من الشيعة في شيء وما الشيعة إلا فرقة واحدة

﴿ الثاني ﴾ ان أول من اشتهر بهذا الاسم على عهد رسول الله ﷺ اربعة من الصحابة هم : ابو ذر وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد بن الاسود

فعن الجزء الأول من كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي في تفسير الألفاظ المتداولة بين أرباب العلوم «ان أول اسم ظهر في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ هو «الشيعة» وكان هذا لقب أربعة من الصحابة وهم ابو ذر وسلمان الفارسي والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر إلى أن آن أوان صفين فاشتهر « أي اسم الشيعة » على موالي علي (ع) وعلى من كان اتباع معاوية بالسني

وذكر في الاستيعاب أبا ذر الغفاري وعده من شيعة علي (ع) وذكر في شرح النهج سلمان الفارسي واعترف انه من شيعة علي (ع) وقال ابان بن تغلب كما في صفحة ٩ من رجال النجاشي يا ابا البلاد تدري من الشيعة الشيعة ؟ الذين إذا اختلف الناس عن رسول الله ﷺ اخذوا بقول علي وإذا اختلف الناس عن علي أخذوا بقول جعفر بن محمد) أقول : ومن إذا اختلف الناس عن جعفر أخذوا بقول المهدي (ع)

وهذه الشيعة في هذا العصر قد ملأوا المشرق والمغرب والحمد لله يتلقفون علوم أهل البيت ويتمسكون بولائهم ويعملون على طريقتهم

وان كتبهم ومؤلفاتهم في سائر العلوم والفنون الإسلامية طبقت الأرض وكلها مبنية في أصولها وفروعها على ما أخذوه عن أهل بيت علي والأئمة من ولده، وان طريقتهم هي الطريقة التي كان المسلمون فيها على عهد رسول الله ﷺ يأخذ جاهلهم عن عالمهم ويأخذ عالمهم عن الكتاب والحديث المتلقى عن المعصومين لا يختلفون مع جمهور المسلمين بشيء من الأصول سوى الإمامة ، ولا بشيء من الفروع إلا كما يختلف الشافعي مع الحنفي والحنبلي مع المالكي وكل مع كل

وقد اثبت في كتابي (الجواب النفيس) تقدم الشيعه في جميع العلوم والفنون الإسلامية وإني بصدد تأليف كتاب يبين مسائل الخلاف بين الشيعة والمذاهب الاربعة وانها لقليلة جداً وسنبين المدارك التي يعتمد عليها الشيعة فيما ذهبوا اليه ليتبين للملأ ما عليه هذه الطائفة من متانة الرأي واعتدال الطريقة ومن الله نستمد التوفيق

المطلب السادس

الامامة

اعلم انه قذف بالإنسان إلى هذا العالم جاهلاً وقلبه (كالأرض الخالية ما القي فيها من شيء قبلته) او كصحيفة بيضاء يخط فيها الكاتب ما شاء حقاً وباطلاً ،وصدقاً وكذبا وصحيحاً وفاسداً

هكذا قلب الإنسان في حداثته ، ومبدأ امره ، وأول بروزه وظهوره

ثم لا أراني احتاج إلى تكلف الاستدلال وسوق البراهين وتنسيق الأدلة إذا قلت ان الإنسان إذا خلي ونفسه وترك وهواه ، واطلق وارادته نبتت فيه سجايا الشر وملكات السوء وتوشجت فيه عروق الهوى وبذور حب الشهوات

فتراه وقد ملأت الأماني قلبه ، وملكت الشهوات زمامه ، وأخذت بمجامع فؤاده من هنا وهناك زينة هذه الحياة وما فيها ، يتمثل لك فيه تلون الحرباء وروغان الثعلب ، وحرص الخنزير وعقر الكلب

والإنسان خلق مركب ، انحط عن الملأ الأعلى بشهوته ، وعلا على العالم الاسفل بعقله ، فإذا خمد نور العقل انتشر ظلام الشهوة

﴿ ألقضاء وطر الشهوة خلق الإنسان؟ ﴾

إسمع . قضيتان احكمتها الشرائع في اصولها ، وخضع لها العقل في نواميسه وجرت على سننها مذعنة أولو الألباب ، وأئمة الهدى ، ولم يحد عن الاعتراف بهما بدأ الباحثون والمفكرون

ما خلق الله الإنسان عبثا

ماترك الله الإنسان سدى

قال الله تعالى (افحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون) سورة المؤمنون آية ١١٦

وقال تعالى شأنه (أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى[1]) سورة القيامة آية ٣٦

فالإمامة إذن بحكم هاتين القضيتين ضرورية من ضروريات الحكمة ، وواجب من واجبات الغرض المقصود من إيجاد هذا الخلق ، فهي والنبوة في ذلك سواء

إلا أن النبي هو الوسيط بين الله وبين خلقه ، يفيض عليهم قوانين الحكم ، ويلقي اليهم فروض الطاعة فصولاً وجملاً

والنبي هو الذي يرفع لواء الإمامة ، وهو الذي يعقد على افراد الأمة عهدها وعقدها

والإمام هو الذي يفسر للأمة ما بلغه النبي ، وهو الذي يقيم قناة العدل والدين فيها بعد نبيها ، ويجب دوام الأئمة بدوام الأمة ، وإلا لاختل النظام ، وبطلت الحكمة وفسدت المصلحة ، وانتقض الغرض ، ومنع اللطف ، واستحكم العبث وترك الخلق سدى

مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً

هذه هي الإمامة التي يقول بها الشيعة ، والرئاسة التي يذهبون إلى انها بيد الله لا بيد عباده ، وانها وظيفة إلاهية كوظيفة النبوة ومنصب كمنصب الرسالة ، وانها لمن اعظم اركان الإسلام واكبر أصوله بعد الشهادتين ، وانها النظام الذي يصلح به أمر الأمة ، والكهف الذي تلجأ اليه في مفزعها ، والسناد الذي تعتمد عليه بعد نبيها ، واللواء الذي يحتضن خطيه أولو العصمة منها ، وأئمة العدل فيها ، وخزان العلم ، وحلفاء الكتاب ، وقرآن الحق ، وأعلام الصدق

هذه الإمامة والخلافة التي دعا لها ﷺ في مبدأ الدعوة وأول البعثة فعقدها لعلي عليه السلام مقرونة بالوزارة موثوقة بالإخاء مربوطة بالوصية والوراثة فنهض

---

(١) السدى · المهمل · مختار الصحاح

علي عليه السلام بوزارته مضطلعاً بها مؤديا حقها رافعاً قناتها حامياً عرينها مادأً ظلها موسعاً سلطانها سافكا دون ان ينال الإسلام مهج الأبطال مجندلاً دون أن يوطئ حماه بهم الرجال

حتى إذا أتم رسول الله ﷺ التبليغ للأمة ميثاق عهد الإمامة وعقدها في آخر عهده كما صدع به في أول أيامه أنزل الله تعالى شأنه

«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»

واليك الآيات البينات وشهادتها لعلي والمعصومين من ولده بالإمامة ، تارة من جهة أفضليتهم الصادعة بها ، وأخرى من جهة وجوب طاعتهم المستفادة منها

الآية الأولى

قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى . «آية ٢٣ من سورة الشورى»

منة محمد ﷺ على العالم لا تقدر ، وفضله عليهم بإداء الرسالة وتبليغ القرآن لا يكافأ ، ونعمته بجهاد المشركين وصبره وثباته رابط الجأش ، راسخ القدم منشرح الصدر ، متعالي النفس ، حتى ظهر الحق وزهق الباطل ، وأزيلت العثرات ، ومهد السبيل ، واستراح إلى الأخذ بتعاليمه المؤمنون ، وانشرحت بهداه صدورهم ، وقرت به أعينهم ، وارتوت من نمير علمه أكبادهم لا يقابلها نعمة ولا يقاس بفضلها فضل ، ولا يقوم بها شكر ، ولا يؤدي حقها مجتهد

ومحمد ﷺ في إبائه وعزة نفسه وسمو ذاته وعلوه وشممه تراه يريد من الأمة مكافأة أو يتوقع منهم على ما صنع أجراً أو جزاء

ذلك ما لا يتصوره بمحمد (ص) أحد

فإذا أراد الرسول الأعظم (ص) من الأمة شيئاً وابتغى منها عملا فإنما يريده لها ويبتغيه لمصلحتها

قال الزمخشري عند تفسير الآية من كشافه ان الأنصار اتت رسول الله (ص) بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وأنت ابن اختنا وتعروك نوائب وحقوق وما لك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده

وانها لآية بينة تقرئك عظمة ذوي القربى وجلالة شأنهم بما أحكم فيها من وجوب المودة فيهم وفرض المحبة لهم والعارفون بلحن كلام الله ومناحيه ومقاصده في آياته وبيناته ومواهبه وعطاياه ومن يقصد بها ولماذا يعلنها وكيف يجعلها على الأمة واجباً حتماً وفرضاً مفروضاً يعلم انه ما أراد بها إلا أهل العصمة من أقاربه ومدار الإمامة من ذوي رحمه ودعامة النبوة وأمناء الرسالة من أهل بيته علي وفاطمة وابناهما

فالآية وان كان ظاهرها العموم والشمول لجميع ذوي قرباه إلا انه كم من عام أريد به خاص

اقرأ قوله تعالى (الذين قال لهم الناس) أراد نعيم بن مسعود (ان الناس قد جمعوا لكم) أراد قريشاً آية ١٧٣ من سورة آل عمران

فلم يكن سؤال من سأل النبي (ص) حين نزولها قائلين يا رسول الله (من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ محمولاً إلا على أحد أمرين إما انهم لم يكونوا من ذوي المعرفة بلحن القول وخصائص الشرائع وحكمها ولا من ذوي القرائح اللدنة والأذواق المستقيمة او انهم يريدون أن يستوثقوا من النبي (ص) وتطمئن قلوبهم لبيان كل واحد من هذين المعنيين محتمل وكيفما كان فإنه يستفاد من سؤالهم انهم ما فهموا إلا ما عليه جمهور المسلمين من ان المقصود بالقربى ذوي القربى أي أقرباء النبي (ص) لم يترددوا في ذلك ولم يشكوا فيه

ألا ترى كيف يستفهمون منه (ص) قائلين (من قرابتك هؤلاء ؟ سؤال عارف ان المقصود اقرباؤه ولكن لم يعرف المقصود منهم فأقرهم على ما فهموا قائلاً في

جوابهم « هم علي وفاطمة وابناهما » يحدثك بهذا الحفاظ من رواة الشيعة والسنة

اما الشيعة فقد أجمعوا على ذلك وتصافقوا في كل عصر على ان المقصود بالقربى في الآية إنما هم علي وفاطمة والأئمة المعصومون من ابنائهما وأما السنة فإليك من روى ذلك وذكره من أعلامهم

اخرج احمد بن حنبل والطبراني والحاكم وابن ابي حاتم عن ابن عباس (كما نص عليه ابن حجر في تفسير الآية ال ١٤ من صواعقه[1]

قال لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال (ص) « علي وفاطمة وابناهما »

واخرج هذا الحديث أيضاً ابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس (كما نقله عنهما النبهاني في اربعينه) وأخرجه المقريزي كما عن النبهاني في الشرف المؤبد واخرجه الإمام البغوي كما في صفحة ١٠٣ من نور الأبصار وأرسله الزمخشري عند ذكر الآية من تفسيره ارسال المسلمات وايذاناً بأنه رأيه وهو رأي الإمام الرازي ايضاً كما ذكره الشبلنجي في صفحة ١٠٢ من نور الأبصار واخرجه الثعلبي في تفسيره والجلال السيوطي في تفسيره المعروف بالدر المنثور واخرجه الحافظ ابو نعيم في حليته والحموينى الشافعي في كتابه فرائد السمطين . فالحديث إذن مجمع عليه وهل في المجمع عليه شك ؟

﴿ تنبيه ﴾

ربما يتوهم ان المقصود من وجوب مودة ذوي القربى على المسلمين وافتراض محبتهم عليهم هو جر نفع لأقرباء النبي ﷺ وابتغاء خير دنيوي من هذه الأمة للأئمة من ذرية الرسول ﷺ وطلب اموال من المسلمين للمعصومين من آل محمد سلام الله عليهم ذلك رأي من اخلد إلى الأرض ذلك ظن الذين يريدون عرض الدنيا

---

(١) وفي رسالة الصبان التي على هامش نور الابصار صفحة ١٠١ أنه روى ذلك الطبراني وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس

إسمع . ما أراد الله تعالى من الأمر بمودة اقرباء نبيه (ص) واقتراض المحبة لعلي وفاطمة وابنيهما إلا الإشادة بذكرهم والإبانة لفضلهم وتوطيد الإمامة وتمهيد مركزها فيهم وتثقيف أخلاق المسلمين وترويض نفوسهم لتوطينها على طاعتهم والانقياد لهم وان في ذلك للأمة الخير كله والنفع جميعه

اعوام قليلة اقامها محمد (ص) بين ظهراني هذه الأمة سطع لها ذلك النور وتمكن لهم بركتها ذلك السلطان فكيف لو اعقبها أعوام وأعوام وأعوام — من غير مذمة لخلفاء النبي (ص) — على ذلك النهج الحق والطريق العدل والصراط الواضح والسبيل القويم متبعة فيها تعاليم آل محمد مأخوذاً فيها بهديهم يحفز الفتح بها الفتح ويتلو النور بها النور فماذا ترى يكون

قال الله تعالى في آية ٤٧ من سورة سبأ بياناً لذلك المسؤول وشرحاً لهم بأنه عائد إليهم «قل» يا محمد «ما سألتكم من أجر فهو لكم (أي نفعه وخيره) ان اجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد

فارجع البصر وتأمل في المغزى وانظر ماذا قصد الله تعالى بطاعتهم في آية اولي الأمر وبوجوب الكون معهم في آية الصادقين وبإعلان مدحهم والثناء عليهم في آيات الدهر وبدعوتهم للاشتراك مع النبي في آية المباهلة وبيان عصمتهم في آية التطهير

وماذا قصد الرسول الأعظم حيث يقول «من مات على حب آل محمد مات شهيداً» الحديث«١» وحيث يقول «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك «٢» وكباب حطة في بني إسرائيل ومثل نجوم السماء«٣» أتراه قصد مالاً لأقربائه يتعيشون به ؟ أو أراد لهم من الأمة رعاية هم في حاجة اليها ؟

---

(١) ذكره الزمخشري في كشافه عند ذكر الآية (٢) رواه جماعة من اصحاب السنن عن عدة من الصحابة كما في نور الأبصار صفحة ١٠٥ (٣) هذه الأحاديث مستفيضة في كتب الشيعة والسنة

ما كان يعلم محمد (ص) انهم الليوث البواسل من بني هاشم والصيد الكفاة من بني عمرو العلى والنخبة من بني عبد المطلب والخلاصة من آل ابي طالب والذرية الطيبة الطاهرة من آل محمد أما كان في هذا العز والشرف الذي هم فيه غنى و كفاءة عن هذا الاسترعاء ؟ لو كان الاسترعاء غرضه

كن على يقين بأن الله ورسوله «ص» ما أراد بذلك إلا دلالة الأمة على انهم هم المثل العليا في كل فضيلة وانهم هم السابقون في كل مضمار وانهم هم القادة والسادة والأئمة والأوصياء

اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً

يكاد يتميز الإنسان غيظاً من رجال قاءهم الدهر ، ومجتهم الليالي والأيام فمثلوا في عداد أهل العلم والدين يقولون ويحكمون ، يقولون ان المقصود من القربى في الآية قرابة ما بينه وبينهم ، يريدون ان النبي ﷺ أمره الله ان يسأل قريشاً أجره على اداء الرسالة أن يؤدوه لأجل القرابة التي بينه وبينهم ويروون ذلك عن ابن عباس ، ثم يعضدونه بنزول الآية في مكة لأنها في سورة مكية . تأملت هذا الافتراء ؟ ان كثيراً من الناس يمرون بالحديث أو الآية لا يفقهون منها شيئاً ، والله أمر بالتدبر في كتابه والتفقه في دينه لست أدري أيطلب محمد ﷺ أجر الرسالة من قريش المشركة أم قريش المسلمة ؟

أما قريش المشركة فلقد كان محمد من أحب الناس اليهم ، وإنما بغضوه لمادعاهم إلى الإسلام والتصديق برسالته ، فكيف يطلب منهم على ما بغضوه لأجله أجراً ؟ تأمل

وأما قريش المسلمة فإنهم يحبونه اكثر من سمعهم وابصارهم ، وهل يطلب عاقل تحصيل أمر حاصل ؟

ثم ان ابن عباس هو الذي تروي عنه الثقاة ان المراد بالقربى علي وفاطمة وابناهما فكيف يقول عكسه

والحكم على الآية بأنها نزلت في مكة بدليل انها في سورة مكية حكم بغير مستند ، لقد أوضحنا في الجملة الأولى اختلاف ترتيب القرآن وأثبتنا انه رب آية مكية في سورة مدنية وبالعكس فلا مجال بعد هذا للتمسك بذلك في شيء

واسخف من هذا الكلام لصرف الآية عن اهلها ما قيل من انه لو أراد الله مودة اقرباء النبي ﷺ لقال إلا مودة القربى فدخول في دليل على عدم إرادة ذلك وهو شيء مضحك ألم يعلم ان دخول في هنا لبيان جعلهم سلام الله عليهم مكانا للمودة وموضعاً لها ؟ فتدبروا يا اولي الألباب

الآية الثانية

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً

آية ٣٣ من سورة الأحزاب

تقرئك هذه الآية من فضل أهل البيت وشرفهم ، وجلالة قدرهم ، وعظيم منزلتهم ومكانتهم ما تطأطأ له الرؤوس نجوعاً ، وتنحني له الصدور خضوعاً وخشوعاً

وتفهمك من عصمتهم عن الذنوب ، وطهارتهم من المعصية ، وإرادة الله تعالى ذلك فيهم إرادة يعقبها مراده ، ويلزمها ولا ينفك عنها مطلوبه ومرامه مالم يكن لغيرهم ولا جعله الله إلا في انبيائه وأوصيائهم

ويلمسك البحث بها والتفكير فيها انها آية لم يكن الله ليجعلها ويخصها إلا بقوم يراد بهم الإمامة ، ويبتغي فيهم المتبوعية ، ويطلب لهم ان يكونوا القدوة للأمة ، والصراط الأقوم لها

فأين ذهبت بالناس المذاهب ؟ وإلى أي جهة سارت بهم الخيالات والظنون ؟

وإلى متى تأخذ بأفكارهم الملاوي العوجاء والمهاوي الكأداء

يفهمون من الآية العصمة ويقرأون منها الطهارة ثم يجعلونها في غير أهلها

ألنساء النبي ﷺ وأزواجه يدعى هذه وتلك ؟ وان فيهن المتظاهرات على النبي (ص) والمحاربة للوصي (ع)

غفرانك اللهم اني لا أريد ذمهن ، ولا التشنيع عليهن ، وانهن أمهاتنا، وأزواج نبينا (ص) ، ولكن نقول فيهن ما قال الله فيهن ، ونحكم بحكمه

قال سبحانه : وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير

والبخاري يروي لنا في صحيحه عند ذكر الآية من كتاب التفسير بالاسانيد عن عمر بن الخطاب (رض) ان المتظاهرتين في الآية عائشة وحفصة

والتاريخ يقرئنا في بديهياته وضروریاته ان امنا عائشة حاربت أمير المؤمنين وإمام المسلمين علي بن ابي طالب عليه السلام أفعصمة بعد هذا يا مسلم ؟

قل الحق ولا يحملنك الحب لشخص أن تأثم فيه ، ولا البغض لآخران تحيف عليه

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)

ما الذي يحملك ان تعوج بالآية إلى أزواج النبي (ص) ويحشمك(١) السلوك بهذا المسلك الوعر ، الكثير العثرات والملاوي ؟ أوجود الآية بين آياتهن ؟ ونظمها في ذلك السياق ؟ ووجودها على ذلك الترتيب ؟

هذا الذي دعاك إلى هذا الخيال ؟ هذا الذي حملك أن تميل إلى هذا الوهم

ويلي عليك أبعد ما انكشف الدجى وتبلج الصبح المضيء بأهله

أقبلت تطلب بالبصير غواية هيهات لا يغوي البصير بجهله

---

(١) تحشم الشيء بمعنى تكلفه

أما كان اللازم عليك في هذا المقام أن تلتفت إلى ترتيب القرآن وتأليفه ؟ أما كان الواجب ان تعرف أن القرآن لم يجمعه جامعه ، ولا ألفه مؤلفه على حسب موارد النزول ؟ ولا راعى فيه ترتيبه كما ورد

لقد أسلفت لك في المطلب الأول من بيان ذلك والبرهان عليه ما فيه غنى و كفاية للمتبصر

فأي وجه بعد لهذا الحمل ؟ وأي سناد يصح الاعتماد عليه في هذا الرأي ؟

هذا مضافاً إلى ان الخروج عن الخطاب بنون النسوة ، والعدول عنه إلى الخطاب بميم الجمع كاف في إلفاتك وتنبيهك

ولئن صح على سبيل التجوز في بعض المقامات خطاب النساء بميم الجمع فإنما يحمل اللفظ على المجاز ويعدل به عن الحقيقة حيث توجد القرينة الصارفة ، حيث يقوم الدليل على عدم إرادة الظاهر ، وهو هنا مفقود فتدبر

ولعلك خدعت بقول عكرمة ومن على شاكلته وانه كان ينادي به في الاسواق وهل كان يفعل ذلك إلا تحاملا على أهل البيت عليهم السلام

وهل يصح ان يكون عكرمة ممن يقول في كتاب الله وممن يعتمد عليه في رأي او رواية

وعكرمة ذلك الخارجي الكذاب المعروف بالعداوة لأهل البيت عليهم السلام

مهلاً لا يكدرك ما قلته في عكرمة ، ولا يعكر صفوك ما سمعت مني فيه من قبل أن تعرفه

إن عكرمة خارجي كذاب ، وسلف العلماء من اخواننا السنة معي على ما أقول ، فارجع إلى ترجمته في (وفيات الأعيان) لابن خلكان ، وإلى ميزان الاعتدال للذهبي تجد فيهما وعلى الأخص في الأخير تفصيل ما قلته مثبتاً بشهادات الأعلام منهم فيه ،

مبيناً لك كيف ان علي بن عبد الله بن عباس أوثقه كتافاً على باب الحش قيل له كما في ترجمته من معجم ياقوت ما لهذا كذا ؟ قال إنه يكذب على أبي . وفي رواية عبد الله بن الحارث قال دخلت على علي بن عبد الله بن عباس فإذا عكرمة في وثاق فقلت ألا تتق الله فقال إن هذا الخبيث يكذب على ابي واقرأ منه ما يكشف لك عن رأيه ، وعن قوله وقد رأى الناس في المسجد فقال . ما فيه إلا كافر ، وكيف تمنى ان يكون معه حربة يعترض بها اهل الموقف (لبنائه على كفرهم)

إيه أيها المسلم أتتخذ قول مثل هذا ورأيه وروايته حجة بينك وبين الله أمختبط أنت ؟ أم ذو جنة ؟ أم تهجر ؟

ثم ما الذي صرفك عن الأخذ برواية عائشة وقولها كما في صفحة ١٣٠ من الجزء ٧ من صحيح مسلم حيث تقول (خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط[1] مرحل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)

وهذه أم سلمة زوجة النبي ﷺ تعضدها حيث تقول كما أخرجه الترمذي والحاكم — وصححاه — وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عديدة) في بيتي نزلت هذه الآية وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين ، فجللهم رسول الله (ص) بكساء كان عليه ثم قال

(اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)

وهل يجوز لمسلم ان يعرض عما اتفق على روايته الترمذي والحاكم وابن جرير

---

(١) المرط بكسر الميم واحد المروط ، وهي اكسية من صوف أو خز كان يؤتزر بها . عن مختار الصحاح

وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي ومسلم ؟ وماذا تصنع فيما يقوله رسول الله (ص) فيما أخرجه ابن جرير والطبراني باسانيدهم اليه كما في صفحة ٧٠ من الشرف المؤبد للنبهاني وفي تفسير الآية من الصواعق لابن حجر حيث يقول (ص) (أنزلت هذه الآية في خمسة ، فيّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة ؟ وهل بعد قول رسول الله (ص) قول وفوق حكمه حكم ؟

وهل فهمت ماذا أراد رسول الله ﷺ بتجليلهم بكسائه ؟ وما الذي قصد بقوله (اللهم هؤلاء أهل بيتي) أترى انه أراد بهذا غير قصر هذه الفضيلة عليهم وسوى بيان اختصاص هذه الآية بهم ؟ وانهم هم أهل بيته لاغيرهم ، يقطع بذلك طمع الطامعين والسنة المتأولين ، ويزيل شكهم ويرفع أوهامهم

ولقد حاولت أم سلمة لما بهرها من فضل أهل البيت ونزول الآية فيهم الآذنة بجلالة قدرهم ، وعظيم مكانتهم ، وسمو شرفهم الدخول معهم ، قالت — كما في صفحة ٣٢٣ من الجزء السادس من مسند احمد بن حنبل — فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه (تعني رسول الله ﷺ) من يدي وقال إنك على خير

ولم يجذبه الصادق الأمين بخلاً على ام سلمة بشرف تريد أن تحوزه بالدخول معهم ولاضناً عليها بفضل تحاول أن تناله بجعل نفسها منهم ، كيف وهو (ص) يدعو الناس لنيل الفضائل ، ويحملها على اكتساب المجد ، ولكنه صلى الله عليه وآله إنما منعها تنبيها على أن هذا أمر لا ينال بالجد ومعنى لا يحاز بالكسب ، منعها تنبيهاً للأمة على ان أهل البيت الذين قصدوا بالآية إنما هم هؤلاء لا غيرهم ، وان العصمة المدلول عليها بالآية محصورة بهم فلا تتعداهم ، فلا يدعي مدعي ولا يطمع طامع

﴿ الآية الثالثة ﴾

إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق

من ربك فلا تكن من الممترين ، فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين آل عمران آية ٦١

المقصود من الأبناء الحسن والحسين ومن النساء فاطمة ومن الأنفس علي عليهم السلام جميعاً ، وابتهل إلى الله بمعنى دعا وتضرع اليه[1]

أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله أن يدعو نصارى نجران للإسلام فكتب اليهم في ذلك فأقبلوا — أربعة عشر رجلاً ، فيهم ثلاثة نفر ، اليهم يؤول الأمر في نجران ، وهم السيد واسمه الأيهم ، وهو إمامهم وصاحب رحلهم ، والعاقب ، وهو امير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، واسمه عبد المسيح ، وأبو حارثة بن علقمة وهو اسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وكنائسهم وكان قد شرف فيهم ، ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم ، وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه ، وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده(٢) — وإنما أقبل هؤلاء بعد مؤامرة بينهم دامت أياماً فلما اختلفوا هم والنبي (ص) بشأن عيسى ، ولم يخضعوا للبرهان الذي أقامه صلى الله عليه وآله عليهم أنزل الله تعالى عليه الآية يدعوهم للأمر الفصل ، للمباهلة ، يدعو كل واحد من الفريقين ابناءه ونساءه ، ومن هو بمنزلة نفسه ، ثم يبتهلون إلى الله بلعن الكاذب

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله أخاه المواسي له بنفسه علياً وابناه سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين ، وابنته سيدة النساء فاطمة(٣) ثم أقبل بهم (كما نص عليه الرازي في تفسيره الكبير) وعليه مرط من شعر أسود وقد احتضن الحسين وأخذ بيد

---

(١) المنجد (٢) عن الإمام الواحدي في كتابه أسباب النزول وذكر ذلك غيره من المفسرين وأهل الاخبار (٣) لم يختلف في ذلك أحد من أهل القبلة

الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها ، وهو يقول إذا انا دعوت فأمّنوا

فقال اسقف نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها ، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة(١)

ويلمسك البحث والتدبر في ذلك اموراً

﴿ الأول ﴾ ان الله تعالى لم يقصد من الأبناء في الآية سوى الحسنين ، ومن النساء سوى فاطمة ، ومن الأنفس سوى علي عليهم السلام ، ولو قصد الله تعالى أو أراد أحداً غير هؤلاء أو معهم لدعاه رسول الله (ص) ولو دعا أحدا غيرهم لعلمناه

﴿ الثاني ﴾ ان عليّا عليه السلام بحكم هذه الآية بمنزلة نفس رسول الله صلى الله عليه وآله ، وذلك ان المعنى الحقيقي وهو ان نفسه نفسه حقيقة مستحيل فلم يبق إلا انه بمنزلة نفسه ولازم ذلك ان يكون علي افضل الخلق بعد رسول الله(ص)وذلك انه بمنزلته فكلما هو ثابت لرسول الله ثابت لعلي خرجت النبوة بالضرورة والأفضلية بالإجماع وبقي ماعداها ، ولا ريب ان رسول الله افضل الخلق فكذلك علي (ع) والحديث المتفق عليه المقبول عند الشيعة والسنة. وهو قوله ﷺ (من أراد أن يرى آدم في علمه ، ونوحاً في طاعته ، وابراهيم في خلته ، وموسى في هيبته ، وعيسى في صفوته فلينظر إلى علي بن ابي طالب ، يؤيد ذلك ويعضده ، فإنه دل على انه اجتمع في علي ما هو متفرق فيهم فهو أفضل منهم

﴿ الثالث ﴾ ان الحسن والحسين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله ، وان شأنهما في هذا التكليف وهما صغيران ، ودعوتهما إلى القيام به وهما طفلان شأن يحيى

---

(١) قال الرازي بعد إيراده واعلم ان هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث وقال بعض الأعلام بل هي كالضروريات لديهم فلا يجهلها منهم أحد

ابن زكريا إذ آتاه الله الحكم صبياً ، وشأن عيسى بن مريم إذ كلم الناس في المهد

وما دعوة عيسى للكلام في تنزيه أمه وفصل القول في ذلك بأكبر من دعوة الحسنين للمباهلة لفصل القول بين أمتين عظيمتين

﴿ الرابع ﴾ ان في الآية دلالة على فضل فاطمة وجلالة قدرها زيادة على الفضل الآتي من جهة دعوتها فإنها جاءت بلفظ النساء وهو من صيغ العموم الدال على التعظيم ، ولقد اشترك الكل في الفضيلة من جهة ، وانفرد كل واحد منهم عن الآخر من جهة اخرى وهذا الزمخشري في كشافه يقول عند ذكر الآية (وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام) والزمخشري إنما فهم هذا المعنى اللامع وتجلى له بسناه المتألق ، من أمرين

من دعوتهم للفصل في ذلك الأمر ، لوضع الحد الذي ينتهي عنده الجدال والخصام بين أمتين عظيمتين

ومن الألفاظ المنزلة على محمد ﷺ المستفاد من كل واحد منها لكل واحد منهم معنى لا يشاركه فيه من الأمة غيره ، ولا يساويه به سواه

لكن أسقف نجران رأى وشاهد من أهل البيت ، من محمد وآله ، من الرسول وأخيه وأبنته وسبطيه ، وأبصر من وجوههم ما أعلمه بجليل مكانتهم عند الله وعظيم منزلتهم لديه .

أحس عظيم النصارى ولمس منهم أنواراً لمع ضوء الحق على وجوهها وأشرق سنا الصدق من أسرة محياها ، فطفق خطيباً في جمعه قائلاً

إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا الخ

ولقد شاركه في هذه المشاهدة والإحساس أصحابه وقرأوا معه من تلك الآية ما قرأ ، فأطاعوه مذعنين له

ولقد حاول في هذا العصر كغيره من العصور جماعة من ذوي الأقلام المستأجرة والأهواء المستعبدة اطفاء ذلك النور ، واخفاء هذا الضياء

وهيهات منهم ذلك (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) فالحق أبلج ، لماع السنا ، منيع الذروة ، عالي القناة ، مستقيم الخطي ، خفاق العذبات ، بعيد الغور ، منتشر الصيت ، سابق المضمار ، مجتمع الحلبات

القرآن كهفه ، والحديث ينبوعه ، والمؤمنون أنصاره وحماته ، ولا يزال تتلمم الحملة عليه بعد الحملة ، والجيش اثر الجيش ، يؤلفهم جبابرة الملوك ، وعتاة السلاطين ، وطواغيت الأمم ، إماتةً له ، وقضاء عليه (وكلما أوقدوا للحرب ناراً أطفأها الله) فتندك دون ركنه أركانهم ، وتهوي دون علمه الخفاق أعلامهم

أين العتاة المردة من أمية وبني أمية ؟ أين الطواغيت والجبابرة من آل أبي سفيان الذين حاولوا إماتة وحي آل محمد واخفاء ذكرهم والقضاء على أمرهم

(وإن كذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى ، فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان نكير)

والحمد لله رب العالمين

وقع الفراغ على يد مؤلفه المهاجر العاملي حبيب آل ابراهيم عفا الله عنه

في يوم الثلاثا الرابع من شهر ذي القعدة سنة ١٣٥٤ هجرية

Date Due

Demco 38-297

NYU - BOBST
31142 02771 4453
BP50 .A4
al-Ma¨¿ali